إسرائيل
فى التوراة والإنجيل

كامل

جامعة الدول العربية
معهد الدراسات العربية العالية

إسرائيل في التوراة والإنجيل

بقلم

دكتور مراد كامل

طبعة ثانية منقحة

دار المعرفة
١٥ شارع صبري أبو علم ـ القاهرة

إسرائيل

فى التوراة والانجيل

الطبعة الثانية — ١٩٦٧

جامعة الدول العربية

معهد الدراسات العربية العالية

اسرائيل في التوراة والانجيل

بقلم

دكتور مراد كامل

طبعة ثانية منقحة

دار المعرفة

١٥ شارع صبري أبو علم القاهرة

عرض لتاريخ فلسطين

كان شمالى سورية من الاسكندرونة وحلب إلى دمشق ، فى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، ولاية تابعة للامبراطورية البابلية . وكانت السفن تحمل التجارة من شواطىء الخليج الفارسى ، وجنوب بلاد العرب . وسواحل البحر الأحمر ، إلى الفرات .

وقد ورد فى مختلف نصوص اللغة البابلية المكتوبة بالخط المسمارى ، أن الأخشاب والحجارة التى تستخدم فى البناء والمعادن ، ومنها الذهب ، كل هذه كانت ترد إلى ما بين النهرين ، بفضل هذه الصلات التجارية .

وكان ثغر الحدود الجنوبية على الشاطىء السورى ، فى عصر الأمبراطوريتين الشومرية والبابلية . فى القرون الأخيرة من الألف الثالث ، يقع على البحر المتوسط بالقرب من بيروت .

وقد جد أهل جبيل وصور وصيداء فى حمل التجارة بين الموانى المختلفة ، وكانت لهم موانى على البحر الأحمر .

وتروى لنا النقوش المصرية القديمة ، تفصيلا عن التجارة مع الموانى الجنوبية على الساحل السورى من النيل إلى جبيل .

ولم تشر النصوص المسمارية التى عثر عليها حتى اليوم ، إلى فلسطين قبل القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وقد دلتنا النقوش المصرية على وجود بدو رحلوا إلى هذه المنطقة ، وذكرت أنهم يقومون بتربية الإبل والخيل ، وكانا أهم وسائل للمواصلات البرية فى تلك العصور ... هذا ، وكانت مدينة « عنه » على وسط مجرى الفرات ، من أكبر أسواق الخيل العربية .

ويذكر لنا العهد القديم أن إبراهيم الخليل كان من قبيلة بدو رحل تطلب المرعى بين « أور » فى جنوب الفرات و « حران » فى شمالى العراق ، وبين كنعان فى سورية .

ويقول الإصحاح الثالث والعشرون من سفر التكوين ، إن إبراهيم اشترى « حقل المكفيلة » فى « حبرون » بأربعمائة شاقل فضة (وكان من الممكن بعد خمسة قرون أن يشترى فى « بابل » بمثل هذا المبلغ ٥٠٠٠٠ متر مربع من الأرض الطيبة) وأراد صاحب الحقل المذكور ألا يأخذ الثمن من إبراهيم ، وألح فى ذلك ثلاث مرات « ولكن إبراهيم أبى وأصر على دفع الثمن » .

عرض كتاب العهد القديم هذا الحادث مع كثير من التفصيل لأنه فاتحة لعهد جديد ، فقد أبطل الحادث القانون القديم الذى كان يحرم على الأجنبى حق امتلاك الأراضى مما جعل اليهود يتذرعون بحقهم فى استثمار الأرض ويطالبون بالأرض عند عودتهم من مصر ، باعتبارهم سكانا قدماء أصحاب حق ، ولم يقيموا وزناً لنسل إبراهيم من العرب الذى يفوقهم عدداً .

وظهر فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد سلطان جديد ، إذ قامت الدولة الحيثية فى آسية الصغرى ، والدولة الآشورية فى « نينوى » وكان أهل آشور ، أصحاب تجارة إلى جانب مصانع ، فى أواسط آسية الصغرى ، تحميها معاهدات دولية ، وكان التاجر يعد أجنبيا — أى ضيفاً — فعليه أن يلوذ بولاء أحد المواطنين ، لأن القانون كان يسرى على أفراد القبيلة ومن يلوذ بحماهم ، وتلك الحماية كانت تبيح لهم التجارة ، وإن كانت تحرمهم حق امتلاك الأراضى ، وكانت أهم أنواع التجارة الرقيق والخيل والمعادن .

وأخذت الدولة « الحيثية » تتسع فى الألف الثانى قبل الميلاد ، فضمت شمالى سورية ، وهى الولاية التى كانت تحت حكم الدولة البابلية — وكانت الصلات قوية بين الحيثيين والمصريين من جهة ، وبينهم وبين أهل « بابل » و « آشور » من ناحية أخرى .

وقد حفظت لنا النصوص المسمارية البابلية ، التي كانت لغتها هي اللغة الدولية في ذلك العصر ؛ الكثير من مراسلات تلك البلاد. وكان الجزء الجنوبي من سورية، ومنه فلسطين ، يدخل تحت سيطرة مصر ؛ بل يعد من ممتلكاتها .

وفي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد على التقريب جاءت هجرة الاقوام النازحين من أوربة ، فشاركت في سقوط دولة الحيثيين . فانقسمت سورية شماليها وجنوبيها إلى عدة إمارات صغيرة .

وبذلك حالت الدول القوية ، التي كانت تجاور سورية ، دون أن تتحد معها سياسياً . وكذلك لم تتمكن الإمارات السورية الصغيرة من المحافظة على استقلالها إلا في حالة ضعف الدول التي تجاورها .

وكانت «قرقميش» و « حلب » و «أوجريت» (بالقرب من اللاذقية) . و «حماة» وغيرها من المدن ، على مثال « نابلس » (السامرة) و « أورشليم » في جميع وجوه الحضارة .

كانت حضارة هذه المدن ، في عصورها المختلفة ، خليطاً من الحضارات المجاورة ، وذلك بحكم مركزها الجغرافي بين الدول الكبرى ، فيما بين النهرين وآسية الصغرى و « مصر » وكانت الموانى الفينيقية أهم هذه المراكز وأغناها فقد امتدت تجارتها على شواطىء البحر الأبيض، حتى بلغت « كريت » و «اليونان» و « صقلية » وغيرها .

وكان أهل سورية يبيعون تجارتهم في المناطق المختلفة ، كما كانوا ينشرون ثقافة الشرق ، وقد خلصوا منها الأصول الدينية ، والمعاني الرمزية ، فجعلوها مستساغة لشعوب اليونان وإيطاليا ، وبذلك تراهم قدموا الشرق القديم إلى الغرب .

وقد استفادت « آشور » بسقوط دولة الحيثيين ، فبدأت تعمل للاستيلاء على سورية .

وكان الملك «داود» والملك «سليمان» يحكمان على أورشليم فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولكن لم ينته ما يثبت علاقتهما السياسية بالدول الكبرى .

ويشيد القصص اليهودى بهذه الفترة، بل يعدها العصر الذهبى، عصر الاستقلال الحقيقى فى تاريخ فلسطين. ولم تكن فلسطين فى الواقع إلا منطقة صغيرة بالقياس إلى الدول الكبرى المجاورة ، فلم تعر هذه الدول حوادث فلسطين اهتماماً مذكوراً .

وفى أوائل الألف الأول ، قبل الميلاد، تمكن الآشوريون من بسط سلطانهم على بابل ، وتوسيع ممتلكاتهم فى إيران ، ففتحوا سورية كلها ، واتصلوا بمصر مباشرة فبادت جميع الدويلات الصغيرة التى كانت تقع بين بلاد ما بين النهرين ومصر ، ومنها دويلة اليهود .

وكان من سياسة الآشوريين أن يحملوا قبائل وشعوباً على الهجرة إلى أماكن مختلفة فى مملكتهم ، حتى يساعدوا على استغلال الأراضى .

والحق أن الآشوريين كانت بهم حاجة إلى خبرة هؤلاء ومهارتهم فى الناحية الفنية. ونجمت عن تلك الهجرات فائدة سياسية ؛ هى : تجنب الدولة تلك المتاعب التى تثيرها عادة العشائر المختلفة ، فى مثل هذه المناطق الواسعة . وقد نقل الآشوريون نحو سنة ٧٠٠ ق . م فيما نقلوا من الشعوب قبائل من أهل السامرة واليهود ، وسمى هذا بالسبى الآشورى .

وبدأ فى ذلك العصر قيام أهل ماداى (الميديين) الذين كانوا قد هاجروا إلى إيران فى القرن التاسع قبل الميلاد ، فبلغوا مسرعين مراتب الدول الكبرى إذ وسعوا حدودهم الشمالية ، حتى أنهار تركستان الروسية ، ووصلوا بحدودهم الشرقية إلى بلاد السند ، ثم استولوا على « أرمنية » وشرق « الأناضول» ثم تحالفوا مع الدولة البابلية الجديدة، فهاجموا «آشور» وقضوا عليها سنة ٦١٢ ق.م.

فكانت آشور الشرقية من نصيب أهل ماداى، والغربية من نصيب البابليين

وأدى ذلك الوضع إلى حلول بابل محل آشور حتى فى سياستها . وحينذاك نقلت مرة أخرى قبائل من اليهود إلى بابل ، وسمى هذا بالسبى البابلى .

وحذا البابليون حذو أسلافهم الآشوريين ؛ فى الحيلولة دون قيام دويلات مستقلة فى مملكتهم . لكن دولة بابل لم تدم طويلا ، إذ تغلب الفرس على أهل ماداى فى عام ٥٥٠ قبل الميلاد ، وبعد ذلك بعشرين سنة قضى كورش على مملكة بابل ، ثم توسع فى فتوحاته حتى وصل إلى مصر وضمها إلى الامبراطورية الفارسية.

وكان قيام دولة فارس قاضيا على كل أمل فى ظهور « بابل » و «آشور » من الناحية التاريخية السياسية ، بعد أن حكموا نحو خمسة وعشرين قرنا .

وأصبحت المدن الفينيقية فى سورية مدنا فارسية ، وكان الملك « نخاو » ملك مصر قبل عام ٦٠٠ قبل الميلاد — قد شرع فى وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر بوساطة قناة ، وعلى يده بدأت المحاولات فى سبيل الملاحة حول إفريقية.

وكان إتمام حفر القناة من أوائل الأعمال التى وجه إليها الملك دارا اهتمامه. واستمر حفرها من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥١٠ قبل الميلاد وبذلك ازدادت أهمية فلسطين فبعد أن كانت جسراً بين آسية وأفريقية فحسب ، أصبحت على مقربة من الطريق الحيوى للملاحة .

وكان الفرس يعدون مملكتهم الواسعة فى مأمن من الغارات ، فلم يكن من المنتظر أن تصير اليونان — وهى البلاد الوحيدة التى لم تدخل فى الامبراطورية الفارسية — سبباً فى القضاء عليها . ولم يشك الفرس فى سلامة مركزهم فى مصر.

ولهذا اهملوا سكان فلسطين وهى الطريق إلى مصر ، فضمن كورش لليهود الذين فى السبى عودتهم إلى فلسطين ، ولم يتم تنفيذ ذلك إلا فى عهد الملك «ارتكزرسيس» (ارتحشستا) وكان سبب هذا التأجيل انزواء يهود فلسطين عن يهود السبى خوفاً من منافستهم لهم .

وكان اليهود قد انتعشوا فى بابل تحت حكم « نبوخذ نصر » ملك بابل ، ثم تحت حكم الأكيمنيين (الكيانيين) ، وأصبح « دانيال » أحد وزراء بابل الثلاثة الذين يؤدى إليهم المرازبة الحساب . وكذلك كان لعزرا ونحميا مركز كبير فى العصر الفارسى ، وكان من اليهود أطباء لبعض ملوك فارس .

وكان من شروط الفرس أن تقر الدولة وجود كل طائفة دينية ، وكان القانون الذى احضره اليهود معهم من السبى البابلى هو الدين الذى وافقت عليه الدولة .

وقد عرف اليهود قبل السبى بخاصيتين : الحرم والذبيحة الآدمية . فالحرم هو تضحية الغنيمة لأنها غضب إلهى كما يقولون . جاء فى سفر الخروج ٣٤ : ١٢ ، ١٣ « احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت إليها ، لئلا يصيروا فخا فى وسطك ، بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم »

وجاء فى سفر الملوك الأول ١٩ : ١٠ « وكان كلام الرب إليه يقول مالك ههنا يا إيليا . فقال قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف ، فبقيت أنا وحدى ، وهم يطلبون نفسى ليأخذوها » .

وكان الإسرائيليون إذا ما سبوا رجالا ، أوغنموا مواشى من الأعداء قدموها كلها ضحية لله . جاء فى سفر العدد ٢١ : ٢ « فنذر إسرائيل نذرا للرب وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدى أحرم مدنهم » وجاء فى سفر التثنية ٢ : ٣٢ — ٣٥ « فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص فدفعه الرب إلهنا أمامنا . فضربناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال . لم نبق شاردا لكن البهائم نهبناها لأنفسنا » .

وجاء فى سفر التثنيـــة أيضا فى معرض الحديث عن محاربة اليهود لعوج ملك « باشان » واستيلائهم على مدنه ٣ : ٦ ، ٧ « فحرمناها كما فعلنا بسيحون ملك « حشبون » محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال . لكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبناها لأنفسنا » .

وجاء فى سفر صموئيل الأول حين يقول صموئيل لشاول ١٥ : ٣ « فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا وامرأة وطفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحماراً »

هذه بعض الآيات التى تدل على ما اختص به اليهود من تضحية الغنيمة وقتل الرجال والنساء والأطفال ترضية لله — كما يزعمون .

أما ما اختص به اليهود من ذبح أولادهم وحرقهم إرضاء لله ، فقد وصلتنا عنه بعض نصوص فى العهد القديم .

وقصة إبراهيم واسحق المعروفة هى القصة التى أوردها سفر التكوين فى الاصحاح الثانى والعشرين ، والتى تدل ضمنا على أن هذه العادة كانت شائعة عند الإسرائيليين قبل إبراهيم .

وجاء فى سفر القضاة فى الاصحاح الحادى عشر والثانى عشر ، قصة « يفتاح » الجلعادى حين نذر : « ونذر يفتاح الرب قائلا إن دفعت بنى عمون ليدى ، فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب وأصعده محرقة » ثم تمضى القصة فتذكر كيف أن يفتاح قتل ابنته الوحيدة ، وحرمها لأنها كانت أول من لقيه من أهل بيته » ففعل بها نذره الذى نذره .

ويقول أرميا ٧ : ٣٠ ، ٣١ « لأن بنى يهوذا قد عملوا الشر فى عينى يقول الرب وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه ، وبنوا مرتفعات « توفة » التى فى وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار ، الذى لم آمر به ولا صعد على قلبى » .

وقد عثر فى آثار البيوت التى كشف عنها والتى ترجع إلى ذلك العهد ، على جماجم أطفال وضعت فى أساسات البيوت ، وهى بلا شك من القرابين البشرية .

وكان الدين اليهودى قبل السبى فيما عدا هاتين الخاصيتين : الحرم والذبيحة الآدمية ، لا يختلف كثيراً عن الأديان الشرقية القديمة التى تدين بها الشعوب المحيطة بهم ،

وبخاصة أديان الشعوب التى تسكن فى ولايات سورية . فقد كانت طائفه صغيرة فى منطقة ماتعبد إلها محليا أو قبلياً .

وهذا نوع من التوحيد كان يتميز بأن يعبد العابد إلهه ، ولا ينكر وجود آلهة آخرين لشعوب مجاورة .

وكان الدين يتطلب من أصحابه أن يؤدوا عبادات معينة ، مع زيارة الإله فى مواقيت مقدرة ، وكانت القبيلة هى محور الدين ، وكان التمييز بين اليهود وغيرهم ، قبل السبى ، قائماً على تقديسهم يوم السبت ، وتحريم بعض ألوان من الطعام ، وارتداء أنواع من اللباس ، ثم قص الشعر بطرائق مفروضة .

وكان مقياس الخير أو الشر ، لدى اليهود هو مقدار النفع أو الضر الذى يعود على القبيلة . فكانت العشائر مضطرة لمعاملة المثل بالمثل ، لحماية أفرادها . وكان الأخذ بالثأر ضرورة لدرء الخطر عنهم ، وقد عبر عن هذا سفر الخروج :

« أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى . . » خروج ٢٠ : ٥ .

وكان أرميا النبى أول من تكلم على وصية الله الجديدة ، بأن يحل القانون محل الأخذ بالثأر ، وقال النبى حزقيال : إن الحكمة القائلة « الآباء أكلوا الحصرم ، وأسنان الأبناء ضرست » لن تكون بعد اليوم ، فإن التقليد القديم قد انقلب فأصبح : الابن لايحمل من إثم الأب . والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار يكون عليه ، وشر الشرير يكون عليه » ١٨ : ٢٠ .

وبهذا تقررت المسئولية الأدبية للفرد إزاء الله ، وحلت المعاملة الفردية محل قيام القبيلة بعبادات دينية نيابة عن الفرد ، وأصبح الإله قوة عالمية ، بعد أن كان عليه أن يحمى دولة مبعثها القومية .

وهذه هى الأسس التى قامت عليها الأديان التى جاءت أخيراً ، بعد أن تطورت

فى الدين اليهودى كما رأينا ، وقد أثر هذا التفكير فى تاريخ العالم ، وكان الباعث على هذا التطور تدهور الدولة القومية والوطن القومى ، إذ أن تحول التفكير الدينى باتجاهه إلى هذه الطريقة سببه عدم استمرار الوحدة السياسية .

وكان انحلال دولة اليهود القومية فى الإمبراطورية الفارسية عاملا على انفصال الدين عن الدولة والسياسة ، وكان هذا نهاية الشرق القديم .

وبعثت دولة الفرس فى الشرق فترة سلام دامت قرنين ، وكانت نقطة تحول فى التاريخ الدينى للانسانية .

ولم تكن فتوح « الاسكندر » وقيام اليونان مقام الفرس إلا خاتمة للقرار التاريخى ، ولم تكن الولايات التى خلفتها إمبراطورية الاسكندر بمنزلة بابل أو آشور القديمتين ، فإن هذا الشرق القديم كان قد باد .

ونهض اليهود عند سقوط الدولة السلوقية ، يحاولون الاستقلال ولكنهم أخفقوا ، ثم استولى الرومان على جميع تلك المناطق ولم تنتج ثورات اليهود إلا تخريب « بيت المقدس » على يد «طيطس» سنة ٧٠ م . ومنذ عهد «طيطس» لم تقم لليهود قائمة فى تاريخ فلسطين .

وكان النزاع الطويل بين دولة الفرس ودولة الروم، مما أنهك رعايا الدولتين ، حتى وصلوا جميعاً إلى حال هيأتهم لقبول أى تبديل .

وفى أوائل القرن السابع قامت الدولة العربية الإسلامية ، واستولت على ما بين النهرين وكذلك على سورية ، فدخلت فلسطين فى حيز تلك الدولة منذ القرن السابع إلى اليوم ، بل صارت قلب العالم الإسلامى . ثم أخذت دولة الإسلام تنقسم إلى دول صغيرة ، بعد أن ظلت ثلاثة قرون فى سلام وازدهار . وكان المظهر الجامع بين هذه الدول الصغيرة : الدين والخلافة ، واللغة .

ولما قامت الحروب الصليبية كانت تتقاسم الدولة الإسلامية قوتان : الفاطميون فى مصر ، والسلاجقة فى إيران مع امتداد سلطانهم على العراق وسورية والأناضول .

وكانت حركة « الشيعة » قد أضعفت من شوكتهما ، فلم تتمكن القوتان من حماية سورية حين هوجمت . ولكن الحروب الصليبية أيقظت شعورا دينياً عنيفاً ، قضى على اضطرابات الشيعة فى المناطق التى هاجمها الصليبيون ، كما أنها خلفت حكاماً محليين على جانب من المهارة استطاعوا أن يطردوا الصليبيين ، فأصبح لبيت المقدس منزلة خاصة عند المسلمين والمسيحيين على السواء .

وقد قامت أحياناً ملابسات فجائية ، ترجع إلى مساعدة اليهود للمستعمر أو إظهار الشعور الطيب له ، على نحو ما حدث أيام الحروب الصليبية ، إذ شمل البغض المسيحيين الغربيين اليهود أيضاً .

ويحدثنا التاريخ عن بعض ماجرى من اضطهاد لليهود فى حلب والقاهرة فى العصر العباسى ثم فى العصر المغولى . ولكن أمثال هذا الاضطهاد لليهود مع نهب معابدهم عرفناه فى الاسكندرية قبل العصر المسيحى أيضاً نتيجة لمواقفهم الشاذة .

وعلى هذا فإن الحركة القائمة ضد اليهود لم تكن نتيجة لقتلهم المسيح فحسب ، بل هى أسبق لعهده ، فهذه الحركة تتعلق بالشعور الإنسانى العام ، وهى حالة من حالات رد الفعل ، ولاغرابة فيها .

والواقع أن الجماعات التى تنتمى إلى أصل واحد تشعر بعداوة لمن يخالفها من الناس . وهذه ظاهرة نجدها عند الحيوان ، بل عند أي فئة من الناس منطوية على نفسها ، حتى فى عصرنا هذا ، مهما بلغت هذه الفئة من الرقى .

لذلك نرى أن العزلة عن الناس أو الاحتفاظ بالعادات والتقاليد المخالفة لعادات الغير وتقاليدهم والتكتل والتعصب لعنصر ما ، إنما كانت من أسباب الحركة القائمة ضد اليهود فى العالم .

وكانت الجاليات اليهودية ؛ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، تسكن المدن الكبرى فى العالم الإسلامى ، وتتمتع بالحرية والحرمة ، وذلك لأنها كانت تعيش فى المستويين الاقتصادى والثقافى اللذين كانا للمسلمين .

ولم يكن هناك أى شعور عدائى فى البلاد العربية ضد اليهود ، ولكن لما بدأت هجرة اليهود بعد الحرب العالمية الأولى من أوروبة إلى فلسطين ؛ وانهالت التبرعات عليهم ، ازداد المال وارتفعت تكاليف المعيشة . ونشأ الفرق بين اليهود الذين استفادوا مما ورد عليهم من المال ، والعرب الذين اعتمدوا على موارد بلادهم القليلة بعض الشىء ، سائرين فى طريق التقدم الطبيعى .

ثم طرأت العوامل السياسية ، فاشتدت المناوأة لليهود إلى حد خطير ؛ ولم يكن لها وجود قبل ذلك أو مسوغ .

وعلى أثر الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، شرع اليهود فى إحياء اللغة العبرية ، التى كانت منذ القرن السادس قبل الميلاد لغة مقصورة على علوم الدين . بل إن بعض الأنبياء مثل « دانيال » و « عزرا » و « نحميا » كتبوا بالآرامية لا بالعبرية . وبالآرامية تكلم « المسيح » .

وقد استخدم اليهود بعد الفتح العربى اللغة العربية محل الآرامية فى العراق ، كما استبدلوا الفارسية بالآرامية فى إيران .

أما يهود بولونيا وألمانيا ، فإنهم يتكلمون « اليديش » وهى لغة قوامها لهجة ألمانية جنوبية مختلطة بألفاظ عبرية وآرامية ، وقد عم استعمالها لغة خاصة بينهم فى « الحرب الثلاثينية » فى ألمانيا بين الكاثوليك والبروتستانت فى النصف الأول من القرن السابع عشر ، ويتكلمها الآن ثلاثة أرباع اليهود فى العالم .

وجاء إحياء اللغة العبرية ، مع فرضها على مهاجرين من اليهود ينتمون إلى أرومات مختلفة ؛ لغرض بعث الروح القومية بينهم ، والسعى بنشرها إلى توثيق

الاتصال الثقافى بالعالم اليهودى الخارجى ، وكان من شأن ذلك أن يزيد من الفروق التى بين العرب واليهود ، ويشعل بينهما روح العداء .

وإن الاعتقاد السائد بأن اللغة لها صفة قومية واجبة لحكومة قومية ، هى فكرة نشأت فى أوروبة فى القرن التاسع عشر لمعارضة « نابليون » فسادت فى فرساى ، وقد أظهرت الحوادث التى وقعت بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٤٥ وجه الخطأ فى هذه الفكرة .

ومع أن « الحركة الصهيونية » لم تنشأ فى الولايات الأمريكية ، فإنها تركزت هناك الآن ، ومعلوم أن نشاط الحركة فى فلسطين فى الفتره التى بين الحربين يرجع إلى مساعدة أمريكا المالية والأدبية .

والواقع أن أية مساعدة من الخارج لتعزيز الصهيونية فى فلسطين مآلها أن تبوء بالفشل ، وأقرب شاهد على ذلك الاعتداء الغاشم سنة ١٩٥٦ واعتداء سنة ١٩٦٧ ، لأن الصهيونية عنصر دخيل على جسم الأمة العربية ، بل هى عنصر غريب عنه خطير عليه . ومن ثم كان لابد أن يلفظه الجسم بحكم الطبيعة .

ولأن وضع فلسطين لم يتغير منذ أربعين قرناً ، فقد حل العالم العربى اليوم محل دون الشرق القديم ، وفلسطين إنما هى قلب هذا العالم ، فالعوامل التى حالت بينها وبين أن تعيش بمعزل عن جاراتها فى الماضى هى هى لا تزال قائمة . بل نمت واشتدت فى هذا العصر ، فهى — كما قلنا — قلب البلاد العربية ؛ ولذلك يجب أن تبقى جزءاً لا يتجزأ من ذلك الكيان العربى الذى سيساء إليه إن يبقى هذا الجزء بمعزل عنه .

ولقد قال التاريخ كلمته فى هذا منذ ٢٤٠٠ سنة خلت ، وكان ذلك دليلاً على أن الجغرافيا تحدد الأوضاع التاريخية وتكيفها .

تمهيد

إن من يقرأ التوراة والإنجيل قراءة متبصر . فاهم للألفاظ ، مدرك للمعانى يتضح له بصورة لا تقبل الشك أنه لا يوجد فيهما أى أساس لما يدعيه الصهيونيون ، وأنه لا سند لهم فيهما لما يزعمون ، وهو أن إقامة دولة يهودية حديثة فى فلسطين ، يعززها الكتاب المقدس ، أو يؤيدها وحى الأنبياء فيه .

ويدرك المتعمق فى فهم وحى الأنبياء فى العهد القديم أن الوعد الإلهى قصد به جميع البشر ، ولم يقتصر على اليهود أو الصهيونيين . وأن التعبيرات المختلفة الدالة على معان مثل « النصر » و « الخلاص » تشير إلى مفهوم دينى وروحى وليس المقصود بها الغزو أو الحط من قدر الأعداء السياسيين .

ومن الواضح أن المصطلح « إسرائيل » أو « إسرائيل الجديدة » أو « إسرائيل الإلهية » فى العهد الجديد ينطبق على الكنيسة المسيحية المثلى أو على جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الدينى .

والواقع الذى لا يتطرق إليه شك أنه لا يوجد مؤمن مسيحى يعتقد بالعهد الجديد ، يخلط بين « إسرائيل الجديدة » التى قامت على المكائد والاحتيال والقوة الحربية ، مصحوبة بحرمان أهل فلسطين من حقوقهم ، بطريقة قاسية خالية من الرحمة والإنسانية ، وتجريدهم من ممتلكاتهم وطردهم من أوطانهم فى عنف وظلم ، وبين إسرائيل الإلهية التى يعتقد بها المؤمنون من المسيحيين ، فكل من الاعتقادين يعارض ويخالف ويناقض الآخر تمام المخالفة ، وهذا يفسر المعضلة السيكولوجية ذات الوجهين عند الكثير من المسيحيين الشرقيين .

اعتاد المسيحيون منذ القدم أن يقرأوا كتابهم المقدس ، ويفسروا كلمة « إسرائيل » بمعناها الإنشائى والبنائى والمثالى والروحى . وعلى حين بغتة ، وجدوا أن هذه الكلمة ذات المعنى الرفيع تستخدم لمدلول مخرب لممتلكاتهم ، وهادم لسلامتهم ، ومهدد لحياتهم .

وأصبحت قراءة كلمة « إسرائيل » سبباً فى عقدة نفسية تعوقهم، وتصدمهم حين يحاولون أن يقرأوا كتابهم المقدس .

فكلمة « إسرائيل » الآن تلجم الكنائس الشرقية، وتجعلها فى حيرة من أمرها بسبب هذه الملابسات المعاصرة ، وقد أدى هذا بطبيعة الحال إلى رد فعل ، فيما يختص بتسمية إسرائيل « بشعب الله » فى كل العهد القديم . واللاجئون الفلسطينيون هم أكثر المسيحيين حيرة لأن الصلة فيها من المرارة ، ما يجعلهم لا يقرأون أى جزء من الكتاب المقدس ذكرت فيه كلمة « إسرائيل » أو وردت فيه فكرة عن إسرائيل.

وقد جاء هذا المعنى فى تقرير عن اللاجئين الفلسطينيين صدر من مجلس الكنائس الأهلى (١) .

وقد حدث فى مصر — على حد علمى — أن الكثيرين ممن تسموا من المسيحيين باسم « إسرائيل » وكانوا يفخرون بهذا الاسم ، غيروا اسمهم ، نذكر منهم على سبيل المثال القمص إسرائيل وكيل بطريركية الأقباط الأرثوذكس فى الاسكندرية وعلى كل حال فليعلم المسيحيون الذين خاب ظنهم والذين يعانون الآلام ، وليعلم

(1) Refugees from Palestine, Pamphlet of the Division of foreign Missions. National Council of Churcher, New York 1957, P. 115.

غيرهم من المسيحيين أن وعود العهد القديم قد تحققت منذ زمن بعيد فى التاريخ وتمت أيضاً بظهور المسيح ، يقول إشعيا ٢ . ٣ « لأنه من صهيون تخرج الشريعة (التوراة أى التعليم) ومن أورشليم كلمة الرب » .

إن شريعة المسيح وتعليمه لكلمة الله أتت من أورشليم ؛ وهى الآن تأتى من أى شخص يتكلم حقا باسمه وباسم الله . وهذا التفسير مقنع قاطع لأن الآية التالية تتحدث عن نزع السلاح وعن السلام فى العالم ، يقوله إشعيا ٢ : ٤ « فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » .

ولا يمكن أن يمت ذلك بصلة لمثل الحالة التى عليها فلسطين الحديثة ، حيث تعيش فئة فى رخاء على حساب فئة أخرى .

يقول الوحى فى إشعيا ١١ : ١٠ — ١٦ « ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب ، إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً ، ويكون فى ذلك اليوم ، أن السيد يعيد يده ثانية ، ليقتنى بقية شعبه التى بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس ومن كرش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر ويرفع راية للامم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض ، فيزول حسد أفرايم وينقرض المضايقون من يهوذا ، أفرايم لا يحسد يهوذا ، ويهوذا لا يضايق أفرايم ، وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غربا ، وينهبون بنى المشرق معاً ، يكون على أدوم وموآب امتداد يدهما ، وبنو عمون فى طاعتهما ، ويبيد الرب لسان بحر مصر ، ويهز يده على النهر بقوة ريحه ويضربه إلى سبع سواق ، ويجيز فيها بالأحذية ، وتكون سكة لبقية شعبه التى بقيت من آشور ، كما كان لإسرائيل يوم صعوده من أرض مصر » .

ومن هذا نرى أن شعب الله يهود من بلاد مختلفة فى إفريقية وآسيا ، ويسوى النزاع القديم بين إسرائيل فى الشمال ويهوذا فى الجنوب . ويكون مملكة متحدة تخضع الشعوب المحيطة بها ، مثل الفلسطينيين والأدوميين والمؤابيين والعمونيين . هذا حدث فى عهد المكابيين حين حكم الملوك اليهود على كل فلسطين وجاوزها إلى البلاد المجاورة ، وقد واجه النص خراب مصر القديمة ، وهذا نشأ من تعاقب فاتحين بعد عصر الكتاب المقدس بزمن بعيد . وعلى ذلك فإن التنبؤات إذا تحققت فعلا ، لا يمكن أن تعود ثانية لتتحقق مرة أخرى . وبخاصة فى العصور الحديثة ، وقد تغيرت الظروف من أساسها ، حتى لم يبق إلا القليل من الأسماء القديمة . وهذه الأسماء التى بقيت لها دلالات مختلفة تمام الاختلاف . وإذا حاول أحد أن يطبق اليوم نصاً ورد منذ ألفين أو ثلاثة آلاف سنة ، على ظروف جغرافية وتاريخية وسياسية ، فعليه أن ينكر عمليات التغير التى سنها الله تعالى لتاريخ الإنسان .

إن الدوام فى رسالة الكتاب المقدس هو مظهر ملفت للنظر ، أتى من عرض المبادىء الدينية والأخلاقية ، ولكن لم يأت من مشروع وهمى لترتيبات سياسية حديثة .

لا يمكن أن نتخيل تشويها شائناً ، أو تحريفاً قبيحاً للكتاب المقدس ، أكثر من استخدامه فى تبرير طرد أهل فلسطين الآن : المسيحيين والمسلمين من بيوتهم وأراضيهم ، وذلك بمقابلتهم بالفلسطينيين القدماء ، والأدوميين ، والمؤابيين والعمونيين .

يزعمون أن ما ذكره بولس الرسول (١) فى رسالته إلى أهل رومية (الاصحاحات ٩ ، ١٠ ، ١١) عن الصلات بين اليهود والمسيحية فى أيامه ، هو سند لفكرة إيجاد إسرائيل سياسية حديثة وبخاصة قوله فى الاصحاح ١١ آية ٢٦ « وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » .

والذى يقرأ الاصحاحات الثلاثة ، يتبين له جليا مدى المغالطة والخطأ فى تعليل ما يدعونه ، وهم فى ذلك لا يفهمون بولس الرسول على الاطلاق . يقول بولس الرسول فى وضوح انه عظيم الحزن ، موجع القلب لأن كثيرا من الإسرائيليين وهم عشيرته ، لم يدخلوا المسيحية ، ويقول لهم إن الانجيل للجميع : لليهود ولغيرهم على السواء . ويختم كلمته قائلا إنه بعد أن يدخل عدد كبير من غير اليهود فى المسيحية ؟ سيدخل اليهود (كل إسرائيل) فى المسيحية أيضاً .

أرسل بولس الرسول رسالته إلى رومية من كورنثوس على الأرجح ، وذلك نحو سنة ٦٠ ميلادية . وكانت المسيحية فى رومية لا تزال فى أول نشأتها ، وكانت تتألف جماعتها من يهود ، ومن وثنيين ؛ وقد اصطلح على أن يطلق على الآخرين اسم الأمم ، وكانت رومية يسكنها عدد كبير من اليهود ، والرسالة موجهة إلى الفريقين ، وفيها مبادىء جوهرية من أهم تعاليم المسيحية وهو ترتيب الخلاص المعد للعالم أجمع ، والمقصود به أن يجعل اليهود والأمم جسداً واحداً رأسه المسيح . وهو يقدم الأدلة على ذلك ، فيبرهن على أن اليهود والأمم جميعاً يقعون تحت الخطيئة ، ويحتاجون معا على حد سواء إلى الخلاص بالنعمة ، وأن إبراهيم

---

(١) كان بولس إسرائيلياً من سبط بنيامين وكان والداه عبرانيين ومولده فى طرسوس فى قيليقية وكان يسمى شاول ، أرسله أبوه إلى أورشليم ليتعلم السنه اليهودية من غمالائيل وأخذ فى اضطهاد المسيحيين ثم تحول إلى المسيحية وأصبح أهم داعية لها وكتب ثلاث عشرة رسالة ، ومات نحو سنة ٦٦ ميلادية .

أب الاسرائيليين قد تبرر بالإيمان ، لا بأعمال الشريعة أو الطقوس الظاهرية ، وأن كل أبناء إبراهيم ينبغى أن يفكروا بالإيمان ، لأن الشريعة لا تخلص الساقطين فى الخطيئة والفساد من قضائها عليهم بالدينونة . ولا من قوة الخطيئة المتأصلة فيهم ، وإن البر الذى يهبه الله بالايمان بالمسيح ، هو الذى يحرر البشر من لعنة الشريعة وسلطة الخطيئة ، وينقلهم إلى حال مباركة فى حال البر ، ويعدهم لنيل وعوده الأبدية فى السماء .

وفى سياق رسالته ، يغتنم بولس الفرصة ، لكى يبين للاسرائيليين أن مجرد إنتسابهم إلى إبراهيم بالجسد ، لا يؤهلهم لنيل وعود الله التى كانت لإبراهيم . أما الإيمان بالمسيح فهو الذى يجعل الأمم هم أبناء إبراهيم الحقيقيين ، وشركاؤه فى البركات الموعود بها .

كانت تعاليم بولس بضم الأمم إلى اليهود ومساواتهم بهم فى الحقوق الممنوحة لهم من الله ولا سيما التعاليم برفض غير المؤمنين من شعب إسرائيل ، والذين كان القسم الأكبر منهم ، عثرة عظيمة لهذه الأمة المتعجرفة المتكبرة ، سبباً فى أن خصص بولس الرسول ثلاثة إصحاحات من رسالته (٩ — ١١) للتحدث فى هذا الموضوع بوضوح تام — وقد فند بولس الرسول آراء اليهود المنحرفة عن التبرير ، الذى أقاموا له ثلاثة أركان .

الأول • التقوى التى اتسم بها أنبياؤهم — والعهد الذى عاهدهم الله به .

والثانى : المعرفة التى حصلوا عليها من شريعة موسى .

والثالث : فرائض الناموس اللاوى ، التى كانت بمنزلة كفارة للخطيئة ولا سيما الذبيحة والختان .

وتشمل الإصحاحات من ٩ — ١١ .

رفض اليهود لطريقة الخلاص ٩ : ١ — ٥ .

الوعد للأمة ليس لإسرائيل بأسرها ، بل لنسل مختار ٩ . ٦ — ١٣
ليس لنا أن نعترض على قصد الله ٩ : ١٤ — ١٩ .

إسرائيل لم تدرك الخلاص ، ولم تطلبه بطريقة صحيحة ، لأنها أرادت أن لاتدرك البر بالإيمان ، بل بأعمال الناموس (٩ : ٣٠ ؛ ١٠ : ١ — ١ — ٢١).

الشعب اليهودى ، الشعب معاند ومقاوم (١٠ : ٢١)

عدد قليل من الإسرائيليين دخل المسيحية (١١ : ١ — ١٠)

رفض إسرائيل الخلاص ، مهد الطريق للأمم فدخلت المسيحية ، ولا ينبغى أن يستكبر من دخل المسيحية من الأمم (١١ : ١١ — ٢٤)

وحين تدخل الأمم فى المسيحية ستخلص جميع إسرائيل (١١ : ٢٥ — ٣٦
وليس فى هذا أى تضمين سياسى أو قومى على أى وجه من الأوجه كائنا ما كان .

والواقع أن العهد القديم يؤكد طبيعة الوعود الروحية والدينية لإسرائيل ؛ باعتبارها مملكة روحية لجميع الناس . وليس لأسرائيل فحسب . وأما إسرائيل فلم تعتبر هذه الوعود ، ولم تشأ أن تفهمها ، إلا فى شكل تنظيم سياسى يتيح لها أن تحتل أراضى شعب آخر . وتحط من قدره لتجعله فى المرتبة الثانية من المواطنين . على أن الحق فوق القوة ، وبه سوف تزول إسرائيل السياسية من الوجود .

الصهيونيون والكتاب المقدس

يرى الصهيونيون أن إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، إنما هى تحقيق لما جاء بالكتاب المقدس ، وقد يخيل للقارىء السطحى أن وعدا إلهيا ، منذ أربعة آلاف سنة ، قد وضع نظاما لإعطاء أرض معينة إلى شعب خاص ، وأن هذا الشعب أصبح يمتلك هذه الأرض بحق إلهى .

وقد سمى اليهود فلسطين أرض الميعاد ، وعلينا أن نمعن النظر فى هذا الزعم ، ونبحث النصوص المعروفة لدى اليهود . والتى أثروا بها على بعض المسيحيين ، وبخاصة فى أمريكا .

هناك ثلاث مسائل ذات أهمية يحسن الوقوف عندها :

أولا : لمن أعطى الوعد الإلهى ؟

ثانيا : ماهى حدود الأرض التى وعد الله بها ؟

ثالثا : هل كان الوعد غير قابل للنقض أو هل كان مشروطا ؟

وإذا أخذنا فى مناقشة النقطة الأولى .

« لمن أعطى الوعد الإلهى ؟ »

نجد أن أول وعد صريح باعطاء فلسطين لنسل إبراهيم ، كان فى شكيم (وهى نابلس الآن) كما جاء فى سفر التكوين ١٢ : ٦ ــ ٩

« واجتاز ابرام فى الأرض إلى مكان شكيم ، إلى بلوطة مورة ، وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض ، وظهر الرب لأبرام قال : لنسلك أعطى هذه الأرض ،

فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له ، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقى بيت إيل ونصب خيمته ؛ وله بيت إيل من المغرب وعاى من المشرق ، فبنى هناك مذبحا للرب ، ودعا باسم الرب ، ثم ارتحل أبرام إرتحالا متواليا نحو الجنوب » .

وكذلك فى تكوين ١٣ : ١٤ ، ١٥

« وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه ، ارفع عينيك ، وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ، ولنسلك إلى الأبد » .

وفى تكوين ١٥ : ١٨ كان أكثر وضوحا حيث يقول « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا ، لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

ونجد أن هذا الوعد قد تكرر ليعقوب ، يقول فى تكوين ٢٨ : ١٣، ١٤ « وهو ذا الرب واقف عليها ، فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق ، الأرض التى أنت مضطجع عليها ، أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غرباً وشرقا وشمالا وجنوبا ، ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض . »

ولما قطع إبراهيم على نفسه عهداً لله بأن يختن كل ذكر ، وعده الله بأن تكون كل أرض كنعان ملكا أبدياً له ولنسله (تكوين ١٧ : ٧ — ١٤) .

وقد وردت عدة نصوص فى سفر التكوين بهذا المعنى ، ويزعم اليهود أن هذه الوعود أعطيت لهم ، أى لنسل اسحاق ويعقوب فقط .

ويخالف هذا الزعم ما جاء فى العهد القديم ، لأن التعبير « لنسلك » يشمل — بطبيعة الحال — العرب أيضا » من مسلمين ومسيحيين ، وهم نسل إبراهيم من إبنه إسماعيل . كان إسماعيل أبا لعدد كثير من القبائل العربية (وإسماعيل هو الإبن

الأكبر والأول لإبراهيم من امرأته المصرية هاجر) ، وتزوج إبراهيم قطورة أيضاً ، ولابراهيم منها قبائل كثيرة من عرب الشمال .

وليست الأقوال التي وردت في تكوين ٢١ : ٩ — ١٢ موضوع جدل، فهي لا تلغي وعد الله بالنسبة لنسل إبراهيم ، باعتبار نسله ، كل لايتجزأ (تكوين ٢١ : ٩ ـ ١٢) « ورأت سارة إبن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح ، فقالت لابراهيم ، اطرد هذه الجارية وابنها لأن إبن هذه الجارية لا يرث مع إبني اسحاق فقبح الكلام في عيني إبراهيم لسبب إبنه . فقال الله لإبراهيم، لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة إسمع لقولها ، لأنه باسحاق يدعى لك نسل ، وإبن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » .

في الواقع أن العهد القديم بعد ذلك ، إذا تحدث عن نسل اسحق بعبارة « ذرية إبراهيم» قصد بهم الإسرائيليين ،ولكن قبل تلك الواقعة لم يكن الأمر كذلك ؛ فإن نسل إسماعيل لهم جميع الحقوق ، وهم يعتبرون أنفسهم بحق «ذرية إبراهيم»وبالإضافة إلى ذلك ، فإن عهد الختان مع إبراهيم(تكوين إصحاح ١٧) ، والوعد الإلهي بإعطاء إبراهيم ونسله من بعده أرض كنعان« ملكا أبديا »كان في أيام إسماعيل، فإن الذي اختتن كان إسماعيل ، لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد .

فالوعد الإلهي لنسل إبراهيم كان موجها في أول الأمر لنسله من إسماعيل، وفي عهد اسحق وابنه يعقوب اقتصر الوعد على نسلهما ، يقول في تكوين ٢٨ : ١٢ ـ ١٤ « ورأى (يعقوب) حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ، وهوذا الرب واقف عليها، فقال : أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق . الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا، وشمالا وجنوبا » .

ولم يستبعد هذا الوعد صراحة أبناء إبراهيم العرب من امرأتيه: هاجر وقطورة.
هذا ومن المعروف أن كثيراً من العرب صاحبوا موسى ويشوع إلى فلسطين
حين احتلوا قسما منها ، ولا يخفى أن نجاح موسى فى تنفيذ خططه ، يعود — إلى
حد كبير — إلى ما لقيه من عطف « يثرون » وضيافته ، وهو كاهن مديان الذى
تزوج موسى من إبنته ، والمديانيون هم من العرب كما هو معروف .

ثانيا : ما هى حدود الأرض التى وعد الله بها ؟

ليس من اليسير أن نحدد الأرض الموعودة ، ومدى إتساع رقعتها .

فالنص المذكور فى تكوين ١٢ : ٦ — ٩ يشير إلى « هذه الأرض » فى
شكيم (نابلس) ، ويتدرج فى تكوين ١٣ : ١٤ ، ١٥ حتى يصل فى تكوين
١٥ : ١٨ ، إلى أن مساحة الأرض الموعودة تمتد من نهر مصر إلى الفرات .

وفى تكوين ٢٨ : ١٣ ، ١٤ يذكر النص أن نسل إبراهيم سيمتد شرقا
وغربا وشمالا وجنوبا .

ويلاحظ أن نص الوعد بالامتداد من النيل إلى الفرات، حدث قبل أن يولد
إسماعيل ، وقبل أن يولد إسحق ، وعلى هذا ، كيف يمكن أن تفسر بأنها تختص
بالإسرائيليين دون غيرهم من أبناء إبراهيم .

وكانت كل هذه المنطقة يمتلكها العرب ، فيما عدا فترة قصيرة دخلت فيها
تحت حكم سليمان (أنظر ملوك أول ٤ : ٢١) « وكان سليمان متسلطا على جميع
الممالك ، من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر ، كانوا يقدمون الهدايا ،
ويخدمون سليمان كل أيام حياته » .

إذا تأملنا النص الوارد فى تكوين ١٣ : ١٥ « لأن جميع الأرض التى أنت
ترى ، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد » ولاحظنا أن إبراهيم كان فى المكان

الذى يقع بين بيت إيل وعاى ، وضح لنا أن شرقى الأردن كان متضمنا الوعد لإبراهيم ، لأنه يشاهد من تل بيت إيل . وكان هذا الوعد قبل مولد إسماعيل واسحق ، ولا يمكن ــ على أى حال من الأحوال ــ أن تدعى إسرائيل ، بأنها هى وحدها المقصودة فى الوعد بتملك عبر الأردن أى فلسطين .

يقول موسى فى التثنية ١ : ٦ ــ ٨ « الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا ، كفا كم قعود فى هذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا ! وادخلوا جبل الأموريين ، وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ، أرض الكنعانى ، ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات . انظر قد جعلت أمامكم الأرض . ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب ، أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم » .

أى أن موسى يقول لشعبه أن يذهبوا ليحتلوا البلاد الواقعة من البحر الأبيض فى الغرب ، إلى الفرات فى الشرق ، ومن النجب (النقب) فى الجنوب إلى لبنان فى الشمال .

وهذه الأوامر لم يقو الإسرائيليون على تنفيذها ، ولم يعملوا على تنفيذها ، فهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على الساحل حيث كان يسكن الفلسطينيون ، ولم يمتلكوا الموانى الفينيقية ، أو الأراضى الفينيقية ولكنهم تمكنوا بعد موت موسى ببضعة قرون أن يستولوا على دمشق ، وذلك فى عصر داود ، وعقد داود مع حيرام ملك صور معاهدة صداقة .

ولما أكمل سليمان بناء المعبد دشنه ، وحضر حفل تدشينه ممثلون من جهات مختلفة : من حماة فى الشمال إلى العريش فى الجنوب (ملوك أول ٨ : ٦٥) « وعيد

سليمان العيد في ذلك الوقت وجميع إسرائيل معه ، معه جمهور كبير من مدخل حماة إلى وادى مصر » .

وقبل أن ينقضى عصر سليمان ، كان معظم أجزاء مملكة داود قد استرجعه أصحابه الأصليون ، يقول فى ملوك أول ١١ : ١١ « فقال الرب لسليمان ، من أجل أن ذلك عندك ، ولم تحفظ عهدى وفرائضى ، التى أوصيتك بها ، فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا ، وأعطيها لعبدك » .

وأخذت المملكة تتمزق ، حتى أصبحت مملكة يهوذا ، محصورة فى بضعة مئات من الكيلو مترات المربعة حول أورشليم ، ثم ضاعت هذه نهائيا ، حين استولى عليها البابليون فى سنة ٥٩٧ ق . م .

ثالثاً : هل كان الوعد غير قابل للنقض ؟

ذكر فى تكوين ١٣ : ١٥ عبارة : أن جميع الأرض أعطيها لك ولنسلك (إلى الأبد) ، وفى ١٧ : ٨ أن كل أرض كنعان تعطى له ولنسله (ملكا أبديا) . وهو ما قصد به احتلال اسرائيل لفلسطين فى المستقبل . الواقع أن الكلمة العبرية (عولم) التى ترجمت (بالأبد) فى الترجمات المختلفة ، معناها فى الأصل (حين من الدهر ، أو فترة من الزمن) فالمعنى المقصود فى الآيات هو فترة من الزمن أو حين من الدهر ولم يقصد بها الأبد .

وظاهر من الحجج التى قدمناها . أن أرض فلسطين لم يوعد بها اليهود فحسب ، وواضح أيضاً أن الوعد الأول لم يحدد الأرض الموعودة . ثم تعاقب الوعد ، حتى شمل شرقى الاردن وسوريا ولبنان والأراضى الممتدة إلى الفرات . وواضح أيضاً أن الوعد لم يعط غير مشروط ، أو ملكية إلى الأبد .

واليوم يدعو اليهود إلى طور من التاريخ والنبوءة ، يقوم على اتجاه أساسه سوء الفهم للتنبؤ اليهودى ومدلوله .

والواقع أن لدينا من رسائل الأنبياء ، ما يدلنا على أن هذه الوعود كانت مشروطة . فالعهد بين إسرائيل والله يتطلب إخلاصاً ووفاء بالعهد من جانب الشعب واستقامة وصلاحا وبرا فرديا من جهة ، وبالتضامن وتحمل مسئولية مشتركة من جهة أخرى .

وقد أدين الشعب لأنه نقض العهد الذى قطعه على نفسه للرب ، ولم يعمل بوصايا الله وفرائضه وقد أنذر موسى الشعب بما سيحدث له إذا لم يعمل بجميع وصايا الله وفرائضه وذلك فى سفر التثنية ٢٨ : ١٥ — ٦٨ .

« ولـكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك ،لتحرص أن تعمل بجمع وصاياه وفرائضه ، التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك :

ملعونا تـكون فى المدينة ،

ملعونا تـكون فى الحقل ،

ملعوناً تـكون سلتك ومعجنك ،

ملعونة تـكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، نتاج بقرك وإناث غنمك ،

ملعونا تـكون فى دخولك ،

ملعونا تـكون فى خروجك ،

يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر ، فى كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك «وتفنى سريعاً ، من أجل سوء أفعالك إذ تركتنى» ،

يلصق بك الرب الوباء ، حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لـكى تمتلـكها ،

يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول، فتتبعك حتى تفنيك ،

وتكون سماؤك التى فوق رأسك نحاسا ، والأرض التى تحتك حديدا ،
ويجعل الرب مطر أرضك غبارا ، وترابا ينزل عليك من السماء حتى تهلك ،

يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك ، فى طريق واحدة تخرج عليهم ، وفى سبع طرق تهرب أمامهم .

وتكون قلقا فى جميع ممالك الأرض ،

وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ، ووحوش الأرض ، وليس من يزعجها ، يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة ، حتى لا تستطيع الشفاء ،

يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب ، فتتلمس فى الظهر كما يتلمس الأعمى فى الظلام ، ولا تنجح فى طرقك ؛ بل لا تكون إلا مظلوما مغصوبا كل الأيام وليس مخلص ،

تخطب إمرأة ورجل آخر يضطجع معها ،

تبنى بيتا ولا تسكن فيه ،

يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه ،

يغتصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك ،

تدفع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلص ،

يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر ، وعيناك تنظران إليهم طول النهار فتكلان ، وليس فى يدك طائلة ،

ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لاتعرفه ، فلا تكون إلا مظلوما ومسحوقا كل الأيام ، وتكون مجنونا من منظر عينيك الذى تنظر ،

يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين ، حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك ،

يذهب بك الرب ، وبمليكك الذى تقيمه عليك ، إلى أمة لم تعرفها أنت ولاآباؤك ، وتعبد هناك آلهة أخرى من خشب وحجر ،

وتكون دهشا ومثلا وهزأة فى جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم ،

بذارا كثيرا تخرج إلى الحقل ، وقليلا تجمع ؛ لأن الجراد يأكله ،

كروما تغرس وتشتغل ، وخمرا لاتشرب ولا تجنى لأن الدود يأكلها ،

يكون لك زيتون فى جميع تخومك ، وبزيت لاتدهن ، لأن زيتونك ينتثر ،

بنين وبنات تلد ولا يكونون لك ؛ لأنهم إلى السبى يذهبون ،

جميع أشجارك وأثمار أرضك يتولاه الصرصر ،

الغريب الذى فى وسطك يستعلى عليك ، متصاعدا ، وأنت تنحط ، متنازلا يقرضك وأنت لا تقرضه ،

هو يكون رأسا وأنت تكون ذنبا ،

وتأتى عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك ، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك ، لتحفظ وصاياه وفرائضه التى أوصاك بها ، فتكون فيك آية وأعجوبة وفى نسلك إلى الأبد ، من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شىء .

تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك فى جوع وعطش وعرى وعوز كل شىء ،

فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك .

يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر ، أمة لا تفهم لسانها .

أمة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ، ولا تحن إلى الولد ،

فتأ كل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلك ، ولا تبقى لك قمحاً ، ولا خمراً ولا زيتاً ، ولا نتاج بقرك ، ولا إناث غنمك ا حتى تفنيك ، وتحاصرك فى جميع أبوابك ، حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة التى أنت تثق بها فى كل أرضك ،

تحاصرك فى جميع أبوابك ؛ فى كل أرضك التى يعطيك الرب إلهك ،

فتأ كل ثمرة بطنك لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك ،

الرجل المتنعم فيك والمترفه ، تبخل عينه على أخيه وامرأة حضنه وبقية أولاده ، الذين يبقيهم بأن يعطى أحدهم من لحم بنيه ، الذى يأكله ، لأنه لم يبق له شىء فى الحصار ، والضيقة التى يضايقك بها عدوك فى جميع أبوابك ،

والمرأة المتنعمة فيك ، والمترفهة التى لم تجرب أن تضع أسفل قدمها على الأرض ، للتنعم والترفه ، تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وبنتها ، بمشيمتها الخارجة من بين رجليها ، وبأولادها الذين تلدهم ، لأنها تأكلهم سراً ، فى عوز كل شىء فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك فى أبوابك ،

إن لم تحرص ، لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة فى هذا السفر ، لتهاب هذا الإسم الجليل المرهوب الرب إلهك ،

يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة راسخة وأمراضاً ردية ثابتة ،

ويرد عليك جميع أدواء مصر التى فزعت منها فتلتصق بك ،

أيضاً كل مرض وكل ضربة ، لم تكتب فى سفر الناموس ، هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك ، فتبقون نفراً قليلا ؛ عوض ما كنتم كنجوم السماء فى الكثرة ، لأنك لم تسمع لصوت هو الرب إلهك ، وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم ؛ كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم ، فتستأصلون من الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ،

ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر ، وفى تلك الأمم لا تطمئن ،

ولا يكون قرار لقدمك ، بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً ،
وكلال العينين وذبول النفس ،
وتكون حياتك معلقة قدامك ،
وترتعب ليلا ونهاراً ،
ولا تأمن على حياتك ،

فى الصباح تقول ياليته المساء ، وفى المساء تقول ياليته الصباح من ارتعاب قلبك الذى ترتعب ، ومن منظر عينيك الذى تنظر ، ويردك الرب إلى مصر ، فى سفن فى الطريق التى قلت لك لا تعد تراها ، فتباعون هناك لأعدائك عبيداً وإماء وليس من يشترى »

ومما سلف نرى أن الوعود الإلهيــة لآباء الشعب الإسرائيلي قد ألغيت ، بسبب الارتداد عن المبادىء ومخالفة العهد .

وقد رأى الأنبياء ، أن تحقيق العدالة الإلهية فى شعب ، متمرد عاص عاق ناقض للعهد ، قد تم فى كارثة السبى الأشورى ، الذى أطاح بشعب السامرة ، وفى نــكبة السبى البابلى التى حلت بشعب يهوذا .

وأخذ الأنبياء يعلمون الشعب بأن بقية منهم ستعود وتعيد بناء الهيكل ، وأنها سترجع بحياة الشعب الدينية سيرتها الأولى ، وأنهم ينتظرون الزمن الذى تمتلىء فيه الأرض بمعرفة الله .

ولا يخفى أن هؤلاء الأنبيــاء كانوا شعراء موحى إليهم ، تنقصهم الناحية العملية مثــل تخيلهم عودة الشعب ، من السبى البــابلى ، وقد بدت الصحراء متفتحة كالزهرة وفيها يقبع الأسد إلى جوار الحمل ، وقد طبع الناس السيوف مناجل ، ونبذوا الحرب ، وتخلوا عنها إلى الأبد .

وكذلك تنبــأوا بإعادة إنشاء مملــكة يهوذا ، والواقع أن الناحية العملية كانت قــد تمت ووقعت ، ولم تبق إلا المثل العليــا ، وتشوق رجال الدين إلى أمور لم تتحقق ، حين عاد اليهود إلى فلسطين ، واتجهوا فى المــاضى إلى تفسير إشارات وردت فى كلام الأنبياء عن المستقبل ، وأقوالهم العملية والسياسية ، على أنها ستحدث فى وقت ما فى المستقبل .

وكانت جميع النبوءات فى العهد القديم ، تتركز بطبيعة الحال ، فى الشعب اليهودى ، وصلته بالله ، ولهذا كان الأمل يتركز فى عصر ذهبى يتصــل بالمدينة المقدسة التى يسكنها إسرائيليون من الصالحين . وكان الأمل يحدو بعض الناس

إلى الاعتقاد بأن اليهود إذا تمكنوا من العودة إلى فلسطين ليكونوا دولة سياسية ، فإن العصر الذهبي الذى ينشدونه سيظهر على الأرض بطريقة سحرية ما.

وهذه الآراء ، هى تحريف لنبوءات العهد القديم التى تكهنت بعودة اليهود من بابل ، ومن البلاد الأخرى ، التى تشتت فيها اليهود واستقر فيها السبي اليهودي ، وهذه النبوءات قد تحققت فعلا ، وعاد اليهود إلى يهوذا ، وبنوا أسوار أورشليم ، وأعادوا بناء الهيكل ، ثم اكتسبوا لأنفسهم استقلالا سياسياً لفترة قصيرة ، واتسعت رقعة بلادهم ، وذلك فى عصر المكابيين .

فالعودة تحققت مرة ، وهى لا يمكن أن تتحقق مرة أخرى ، لأن هذا يخالف طبيعة النبوءة ، ولا تشير أسفار العهد القديم إلى نبوءة تقول بعودة ثانية بعد عودتهم من السبى البابلى ، وذلك لأسباب أهمها :

أولا - أنه عاد إلى الأرض المقدسة كل اليهود الذين رغبوا فى العودة ، وفضل الجزء الأكبر منهم أن يبقى ، فى البلاد التى يعيش فيها ، وكان هؤلاء هم نواة الكنيسة المسيحية فيما بعد .

ثانيا — أن آخر الانبياء مات قبل خراب أورشليم سنة ٧٠ ميلادية بعدة قرون .

إسرائيل

هل هى تحقيق لنبوءة الكتاب المقدس ؟

رأيان واضحان من الفكر اليهودى عرفناهما منذ القرن السابع قبل الميلاد، وهو القرن الذى تميز بظهور عدد من الأنبياء الكبار فى العهد القديم ، يجهر الرأى الأول : بالخصائص القومية اليهودية وتفضيل اليهود على غيرهم من الناس . ويؤكد الرأى الثانى : الاتجاه إلى العالمية .

وانقسم اليهود منذ أيام النبى عاموس ، من حيث تفسير العقيدة إلى حزبين ، وإن معرفتنا بتفسيرات هذين الحزبين ، تعيننا على تقدير الأسس التى تعتمد عليها إسرائيل من نصوص العهد القديم .

لا يمكن أن ننكر الأهمية اللاهوتية للرأى الذى يؤكد عودة صهيون ، من وجهة النظر القومية . أما الرأى الذى ينادى بعالمية اليهود فإنه لم يضع فى الاعتبار عودة صهيون بالمعنى المادى السياسى .

إن العهد القديم فى حديثه عن عودة صهيون ، لا يقيد أصحاب هذا الرأى بشىء واعتبارهم له لا يخرج عن اعتبارهم لتفسير الأحبار لقوانين ، المأكل ، أو تفاصيل السلوك الكهنوتى ، أو القوانين التى تخصص بممارسة الذبيحة فى الهيكل .

وهذه الطائفة من اليهود التى اتبعت قيادة الأنبياء فى العالمية ، هى فى واقع الأمر ، وكما يصرحون أنفسهم ، بأنهم أصحاب حجة لهم حق المعارضة ، وهم غير مقيدين فى سلوكهم الدينى ببذل مجهود سواء كان صالحاً أو سيئاً ، حتى يفهمون كلام التوراة فهما حرفياً ، إلا بالقدر الذى يكون عليه الرجل المفكر ، المعارض للحرفية فى أى دين من الأديان .

وفى سنة ١٨٨٥ وضح رأى هؤلاء المصلحين اليهود فى وثيقة يطلق عليها خطة

بيتسبرج Pittsburgh platform وقـد سميت بذلك لأن جماعة من أحبار اليهود المتازين المصلحين ، اجتمعوا فى بيتسبرج فى ولاية بنسلفانيا ، وقرروا عدة قرارات ، منها :

القرار الرابع: إننا نقرر أن جميع القوانين والتشريعات التى تنظم الملبس والمأكل والتطهر الـكهنوتى إنما تعود بأصلها إلى مؤثرات غريبة عنا ، وهى تخالف إدراكنا وعقليتنا الحالية كل المخالفة ، ولا يمكنها أن تؤثر على اليهودى اليوم بروح فيه تقديس للـكهنوت ، وإن مراعاتها والتمسك بها فى عصرنا هذا يضع عراقيل تعوق رفع المستوى الروحى بمفهومه الحديث .

القرار الخامس : نعترف فى هذا العصر الحديث، عصر الثقافة العالمية ، التى تعتمد على العاطفة والعقل . إننا قد قاربنا تحقيق الأمل فى إنشاء مملـكة يسود فيها الحق والعدل والسلام بين الناس ، وإننا لا نعتبر أنفسنا شعبا ، وإنما نحن طائفة دينية ، وعليه فلا نتوقع العودة إلى فلسطين أو الرجوع إلى عبادة . قوامها الذبيحة من أبناء هارون ، أو تجديد أى قانون يختص بالدولة اليهودية[1] .

وإذا تحدثنا عن الملابسات السياسية فإنه يجب أن نستثنى هـذه الفئة من اليهود من أية فئة أخرى يهودية ، تقترح أن يكون لها قدم فى إسرائيل مستندة على شرع من الـكتاب المقدس ، وأن الأفراد الذين ينتمون إلى هـذه الفئة ويعتنقون الصهيونية أو يميلون إليها ، إنما أغرتهم اعتبارات نشأت من تفـكير مادى ، أو من اقتضاء للحال ، وربما كان هؤلاء اليهود المتحررون أقلية ولـكنه من العسير أن نثبت ذلك .

---

(1) The Universal Jewish Encyclopedia, vol. 3. p. 241.

والتقسيم الطائفى فى اليهودية ، وهو : مصلح ومحافظ وسنى، وليس مقياسه يلازم صرامة التفسير لنصوص العهد القديم .

ومثل ذلك ، أنه من الشائع أن حركة المحافظين صهيونية على الأغلب . ولكن منذ أن أصبح معنى الصهيونية موضع جدال بين أفراد هذه الحركة فإنه يشك الآن فى صهيونيتهم .

ومهما يكن من شيء فى معنى الصهيونية . وبالرغم من المساعدة الرسمية الفعالة لإسرائيل والصهيونية . فإن معركة عنيفة نشبت عام ١٩٥٦ م فى اجتماع اليهود المحافظين . دارت حول مسألة انتقال الحركة كلية إلى المنظمة الصهيونية العالمية من عدمه .

وقد نشرت النيويورك تايمس[1] مناقشة اتحاد مجامع اليهود فى أمريكا . تحدثت فيها عن (حكمة انضمام طائفة دينية إلى منظمة سياسية) .

وأثيرت هذه المسألة فى اجتماع عقد لمناقشة دور مجلس مجامع اليهود العالمى : قال الدكتور أبراهام هيشيل أستاذ التصوف اليهودى فى كلية اللاهوت اليهودية فى نيويورك ،أنه لا يتخيل أن تنضم الكنيسة الكاثوليكية إلى الحزب الديمقراطى أو أن ينضم مجلس الكنائس القومى (وهو يشمل الكنيسة البروتستانتية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية) إلى الحزب الجمهورى أو الديمقراطى .

وقد قرر هؤلاء اليهود المحافظون فى اجتماعهم أن لا ينضموا إلى المنظمة الصهيونية العالمية ، ولا سيما فى الوقت الحاضر .

ولا يعنى هذا أن عدداً كبيراً من المشتركين فى الاجتماع لم يكن صهيونيا ، وإنما يعنى أن أعضاء هذا الاجتماع من اليهود المحافظين، رفضوا أن توضع مسألة

---

(1) New York Times. 18 November 1959.

العودة إلى صهيون فى جهاز سياسى ، وأن هذا الجهاز السياسى لا يكون جزءاً من اليهودية ، كما عارضوا بشدة أى خلط بين الاتجاهين .

وعلى هذا فإن الدعوة إلى تكوين دولة اسرائيل صدر من حركة الصهيونية العالمية ، وهى لا تزال تغذيها ، وقد رفضها المحافظون من اليهود ، ولم يعتبروها جزءا من عقيدتهم ، وبذلك فإنهم لا يعدونها تحقيقا لنبوءات العهد القديم .

أما أهل السنة من اليهود : فإنهم — على عكس أهل الإصلاح الذين يرفضون العودة الى صهيون — يأملون العودة اليها ، ولكنهم يفهمون هذا المعنى بشكل خاص ويعتقدون أن تحقيق هذا الحلم يحتاج الى عملية معقدة ذات خطوات عديدة ، وليس من بينها انشاء دولة اسرائيل .

فأهل السنة من اليهود يعتقدون أن العودة الى صهيون ، هى جزء كامل فى ذاته ، وهى الذروة لعملية روحية ، وأنه بلوغ المنزلة العليا فى خلاص الجنس البشرى ، وسيحدث هذا فى دينونة الله ، حين يحقق الشعب أو الفرد الكمال المرجو بدقة متناهية ، وهو الأمر المطلوب للعودة المتخيلة .

ولهذا نرى أن أهل السنة من اليهود وأكثر المحافظين يضمنون صلواتهم العودة الى صهيون ، وهم يرددون تلك النصوص الواردة فى المزامير والأنبياء التى تبشر بالعودة .

ومن الطريف أن نلاحظ بأن المسيحيين البروتستانت الذين يتمسكون بحرفية الكتاب المقدس ، يتطلعون هم أيضاً إلى العودة الى صهيون . وعندهم أن اعادة بناء صهيون ، وعودة أبناء اسرائيل ، ليست هى الهدف الأخير من عملية العودة الى صهيون ، ولكنها مرحلة ضرورية للوصول الى الذروة ، والذروة هى ظهور المسيح بشخصه ، وأن اعادة تجميع أبناء اسرائيل فى صهيون ، يجب أن يسبق قيامة الأموات .

ومن الواضح أنه لا يوجد بين أهل السنة اليهود من يعتقد بأن دولة إسرائيل الحالية نشأت بطريقة تحقق توصيات العهد القديم ، وهم يرفضون سلطة إسرائيل الحالية ، لأن وجودها — فى رأيهم — قد حدث من عملية فيها انتهاك لحرمة النصوص فى العهد القديم ، وأن كيانها أتى من نشاط دنيوى سياسى لحركة الصهيونية .

وهى على هذا ليست تحقيقا لنبوءة العهد القديم ، ولا تمثل بأى حال من الاحوال حلم العودة إلى صهيون .

وإسرائيل — فى نظرهم — هى دولة دنيوية ، لا صلة لها مطلقاً بصهيون .

وينظر أهل السنة من اليهود إلى إسرائيل بامتعاض ، لأنها حقرت المعنى النبيل السامى للذروة المجيدة فى عقيدتهم الدينية ، واستاءوا أيضاً من إدعاء وتخصيص اسم « إسرائيل » لهذه الدولة ، لان لفظة « إسرائيل » لديهم تدل على فكرة دينية وروحية ، لها قدسيتها التى نشأت من تقليد مقدس لايجدونه فى كيان دولة مدنية .

وقد حاول الصهيونيون ، أن يقنعوا الفئات اليهودية المختلفة ، بأن وجود إسرائيل هو تحقيق لوعد الكتاب المقدس ، وبذلوا فى ذلك جهوداً مضنية ، واستعانوا بتفسير آيات من العهد القديم على هواهم وبطريقة التمويه والمغالطة ، وذلك للوصول إلى هدفهم ، الذى لم يتمكنوا من تحقيقه .

ويمكن أن نعلق على رأى من يدعى بأن إسرائيل هى تحقيق للوعد الذى جاء فى العهد القديم فنقول :

أولا : لم تقرأ أية محكمة أهلية أو دولية من المحاكم التى شغلت بالمسألة السياسية المعقدة لفلسطين ، أن النبوءات القديمة ، تعطى صفة قانونية لبعض أو كل الادعاءات السياسية للصهيونية فى الاراضى المقدسة .

ثانياً : أن بعض الصهيونيين الذين يدعون ، بعد حدوث الامر الواقع بإنشاء دولة إسرائيل واغتصابها أرض فلسطين بأن دولة إسرائيل تحقق نبوءات الكتاب المقدس ، ولكنهم حين يواجهون توصيات الكتاب المقدس ، لا يقرون الطرائق التى استخدمت فى ايجاد هذه الدولة .

وأن كل ما يمكنهم قوله ، هو أن هذه الحركة الصهيونية القومية أصبحت أداة إلهية . وهم يدافعون عن الضرورة والحاجة لتدخل الإنسان ، واستخدامه النفوذ السياسى ، لتعجيل العملية التى يقتضيها الوقت الذى حدده الله .

وقد ساقتهم الجهود التى بذلوها ، للتوفيق والموازنة بين النتيجة التى وصلت إليها القوة السياسية الصهيونية وبين توصيات الكتاب المقدس ، إلى الوقوف فى مركز حرج ، لا يتمشى مع منطق الامور . فإن رئيس دولتهم رجل علمانى أى من غير رجال الدين . والجيش الإسرائيلى يجند النساء ، وفى سياسة الدولة نجد أن المتدينين فى حرب مستمرة لا تهدأ ، مع حكومة مدنية لا دينية ، بشأن التعليم ، وبشأن تحديد كلمة يهودى ، وبشأن الأمور الشرعية التى تنشأ حول صحة الزواج أو حول الطقوس المختلفة .

وإذا نظرنا إلى قيام دولة إسرائيل معتمدة على سلطة سياسية ، تبين لنا أنها قامت بطرائق لا تقرها نصوص الكتاب المقدس ، وليس لها أى سند أو حق أو قانون أو شرعية من أية آية من آياته .

وهناك أقلية يهودية تعيش بين أغلبية السكان اليهود فى إسرائيل ، وهى فى معركة سياسية عنيفة ، تهدف إلى إلزام الدولة بأن تجد لها صفة ومخرجاً تسوى فيه ؛ بين ماتدعيه وبين حقيقة ماجاء فى نبوات الكتاب المقدس ، ولم تتم

هذه التسوية إلى الآن ، لأنه مهما أوتى الإنسان من قدرة على المغالطة والتلفيق ؛ فلن يصل إلى تعليل هذه المفارقات الواضحة .

إن تحقيق الوعد على هذه الصورة ، والطريقة التى نشأت بها إسرائيل والنتائج التى نجمت عن وجودها . لا يمكن أن تتفق مع أية نظرية دينية ؛ تعتمد على النزاهة والاستقامة والسلامة والكمال ؛ وهى أساس الأديان السماوية .
ولا يمكن أن نثبت وجودها أو تبرره من النصوص الأخلاقية والدينية لهؤلاء الأنبياء العظام ، التى خلدها الكتاب المقدس .

إسرائيل فى الأنجيل

منذ أن أعلنت هيئة الأمم المتحدة قيام دولة تسمى إسرائيل سنة ١٩٤٨ أخذ يتردد السؤال ، الذى كان يدور فى أذهان الناس منذ القدم ؛ عما يزعم اليهود من وضع عالمى خاص ؛ فى قصد الله .

رأى بعض المسيحيين ، أن قيام دوله سياسية هو خطوة نحو تحقيق ما أراده الله للخلاص ، ويعتبر هؤلاء الناس أن الإسرائيليين هم شعب الله .

ورأى أكثر المسيحيين وغير المسيحيين أن هذا هو تفسير مخطىء لموقف هيئة الأمم ، الذى سيكون له عواقب بعيدة الأثر على اليهود وغير اليهود . فاليهود أنفسهم لا يتفقون على معنى دولة إسرائيل وأهميتها .

واحتج كثير من اليهود على فكرة الجنس المختار ، لأنهم لمسوا الامتعاض والاستياء والحنق الذى سببته هذه الفكرة عند غير اليهود .

ماذا قصد العهد الجديد بالتعبير « إسرائيل الله ؟ » .

والرد على هذا السؤال له صلة ، وبخاصة عند المسيحيين ، بمعنى دولة إسرائيل السياسية .

إن شعب الله الحقيقى يشمل ، أو يجب أن يشمل ؛ أفراداً من جميع الشعوب وكل الأجناس .

وعلى المسيحى ، أن يفهم العهد الجديد ، بأنه يبين قصد الله فى خلق المساواة بين الناس ، تلك المساواة التى تسمو على القومية ولا تميز بين الأجناس .

اسرائيل الله

إن العهد الجديد يعبر عن الكنيسة بعبارات منها : شعب الله ، أو جسد المسيح ، أو إسرائيل الله ، أو رعايا مملكة الله ، وكلها تتخطى حدود القومية، وتعلو على الاعتبارات العنصرية .

وشعب الله الذى يصفه العهد الجديد ، لا يتصل بدولة سياسية قائمة فعلا، أو ستقوم فى المستقبل .

ويقر العهد الجديد أهمية الجماعات المنظمة أو الدول السياسية ، ولكنه لم يخلط مطلقاً مملكة الله أى الكنيسة ، بشعب أو بجنس من الناس .

فالعهد الجديد يتحدث عن شعب الله معبراً عن ذلك إسرائيل الله ، و هذا يشمل اليهود والأمم فى كل مكان ، وفى أى عصر يعيشون فيه .

إن الكتاب المقدس هو تاريخ ما صنعه الله وما يصنعه لخلاص الناس .

يقوم العهد القديم على دعوة الله لإسرائيل ، بينما يوجه العهد الجديد معظم همه لخلق جماعة جديدة يطلق عليها أسماء مختلفة ، مثل الكنيسة أو جسد المسيح أو إسرائيل الله .

المسيح والكنيسة

يهتم العهد الجديد أكثر ما يهتم بالمسيح وشعبه .

دعا المسيح الناس لا إلى فلسفة معينة ، أو ممارسة عمل معين . فقد اختار جماعة من التلاميذ التفوا حوله ، ثم أعلن هدفه : وهو بناء كنيسته التى تشمل أعضاء ، عضويتهم لا تزول ، وتضمهم مملكة الله .

إن الإنجيل يبين بوضوح أن المسيح قاوم الآراء الخاطئة عن طبيعة رسالته ودحضها ، وصحح ما فهمه الناس منها خطأ .

نظر الكثيرون إلى المسيح ، على أنه هو الذى سيفدى إسرائيل . يقول لوقا فى ٢٤ : ٢١ « ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل » . ومن تلاميذ المسيح من خالجهم هذا الظن . حتى أنهم سألوه عن عودة مملكة إسرائيل «أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: «يارب هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل» أعمال الرسل ١ : ٦ .

وقد ظن هؤلاء الحواريون ! أن مملكة الله ستظهر فى شكل تحرير إسرائيل من حكم الرومان ؛ وإعادتها إلى ما كانت عليه من حال بين الأمم .

وقد نبذ المسيح هذه الفكرة التى ترمى الى المطابقة بين المملكة واسرائيل القومية ، ورفض أن يكون زعيما متعصبا وقائداً متحمسا لدولة سياسية .

والواقع أنه لم يشغل نفسه بالاهتمام بأية طائفة كانت من اليهود سواء أ كانوا من الصدوقيين أم الفريسيين أم الإسينيين أم غيرهم من الطوائف المعروفة .

وقد وضع المسيح معياراً يعين به المقصود من شعب الله . فقد رفض التمييز المخطىء الذى وضعه الفريسيون فى أيامه بين البار والخاطىء ، واعتبر المسيح الناس كلهم خطاه ودعاهم الى التوبة والإيمان ؛ جاء فى انجيل مرقس ٢ : ١٦ ؛ ١٧ «وأما الكتبة والفريسيون فلما رأوه يأكل مع العشارين والخطاه ؛ قالوا لتلاميذه ما باله يأكل ويشرب مع العشارين والخطاه ؛ فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى ، لم آت لادعو أبرارا بل خطاة الى التوبة » .

وكان من أهم الاسباب التى دعت الفريسيين الى معارضة المسيح ؛ أنه رفض ما يذهبون اليه من التمييز بين الطاهر والنجس ؛ وبين الابرار والخطاة .

بولس الرسول

عرض بولس الرسول بوضوح تام للتعريف بإسرائيل الله الحقيقية .

فقد ميز صراحة بين إسرائيل القومية ، وبين إسرائيل الله الحقيقية ، أى بين إسرائيل حسب الجسد ، وبين إسرائيل من الناحية الروحية .

قال فى رسالته إلى أهل غلاطيـة ٦ : ١٥ ، ١٦ « لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرله ، بل الخليقة الجديدة ، فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون ، عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله » .

وفى هذا ما يدل على أن بولس ، عين شعب الله الحقيقى ، الذى لا يحدده التمسك بأى فريضة جسدية كائنة ما كانت مثل الختان أو غيره ، بل سما على ذلك كله بالناحية الروحية ، وهى الخليقة الجديدة التى أسماها إسرائيل الله .

وفى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٠ : ١٨ تحـدث عن إسرائيل بحسب الجسـد بقوله « انظروا إسرائيل حسب الجسـد » وفى ذلك تلميح إلى إسرائيل القومية والتفرقة بينها وبين إسرائيل الله الحقيقية .

وفى رسالته إلى أهل روميـة ٩ : ٦ يعلن معنى إسرائيل فى قوله « لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون » أى أنه يميز بين الإسرائيليين بالجسد وبين الإسرائيليين بالمسيح .

وفى رسالته إلى رومية ٢ : ٢٨ ، ٢٩ أوضح بولس الفرق بين اليهودى فى الظاهر واليهودى فى الباطن ، إذ يقول « لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو

يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختـانا ، بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى ، وختان القلب بالروح لا بالـكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله » .

وفى رسالته إلى أهل غلاطية ٣ : ٢٦ ـ ١٩ يشرح رأيه بقوله : « لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع . لأن كلـكم الذين اعتمـدتم بالمسيح ، قد لبستم المسـيح ، ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبـد ولا حر ، ليس ذكر ولا أنثى ، لأنـكم جميعاً واحـد فى المسيح يسوع ، فإن كنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة » .

ويقول بولس عن ابراهيم أنه أب لجميع الناس ، وليس لليهود فقط ، وذلك فى رسالته الى أهل روميـة ٤ ، ١ ، ٢ « فماذا نقول ان أبانا ابراهيم قد وجد حسب الجسد ، لأنه إن كان ابراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ، ولـكن ليس لدى الله لأنه ماذا يقول الـكتاب : فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا » .

ويشرح بولس أن البر بالإيمان لا بالختان أو العرله ، وأن الإيمان بالله هو الذى حسب لإبراهيم براً ، ثم يقول فى روميـة ٤ : ١٣ — ١٧ « فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان ؛ لأنه ان كان الذين من النـاموس هم ورثة ، فقد تعطل الإيمـان وبطل الوعد ، لأن الناموس ينشىء غضباً ؛ اذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً وعد . لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ، ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضاً لمن هو من ايمان ابراهيم الذى هو أب لجميعنا ، كما هو مكتوب : أنى قد جعلتك أبا لأمم كثيرة » .

ولعل أوضح المواضع فى العهد الجديد تصويرا لشعب الله ، ماورد فى رسالة بولس الى أهل أفسس . ففى هذه الرسالة يعلن بولس أفكار الله الأزلية فى أمر الفداء بالمسيح ، والسر الذى كان مكتوبا فى الازمنة السالفة عن البشر ، وهو قصد

الله أن يجمع الأشياء فى السماء وعلى الأرض تحت رئاسة المسيح ، وينقض به الجدار الذى يتوسط بين اليهود والأمم ، صانعا من الإثنين جسداً واحداً جديداً روحياً ، رأسه المسيح ، وهو ما أسماه جسد المسيح أى الكنيسة .

يقول فى رسالته إلى أهل أفسس ٢ : ١١ — ٢٢ : «لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا فى الجسد . المدعوين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد فى الجسد ، أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح ، أجنبيين عن رعوية إسرائيل ؛ وغرباء عن عهود الموعد ، لا رجاء لكم وبلا إله فى العالم ، ولكن الآن فى المسيح يسوع ، أنتم الذين كنتم بعيدين ، صرتم قريبين بدم المسيح . لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ، ونقض حائط السياج المتوسط ، أى العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض ، لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنساناً واحداً ، جديداً صانعاً سلاما ، ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب ، قاتلا العداوة به . فجاء وبشركم بسلام ، أنتم البعيدين والقريبين . لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب . فلستم اذا بعد غرباء ونزلاء، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله ، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ؛ ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ، الذى فيه كل البناء مركبا معاً ؛ ينمو هيكلا مقدساً فى الرب ، الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح » .

وعلى هذا نرى أن جسد المسيح أو كنيسة الله هى اسرائيل الله الحقيقية أو الجديدة ، التى تخطت واجتازت التمييز القديم للقومية أو الجنس ، فاسرائيل الحقيقية تضم كل شعب المسيح .

المسيحيون الأولون

إن سفر أعمال الرسل فى العهد الجديد ، يتتبع تطور الجماعة المسيحية الأولى وأنباء إنتشار المسيحية وتاريخ الكنيسة الأولى حتى سنة ٦١ ميلادية ، ويرسم لنا صورة ذهنية جلية عن طرائق الرسل فى العمل على اتساع نطاق الكنيسة من بدايتها فى أورشليم ، إلى أن تأسست فى رومية ، عاصمة العالم القديم .

ويوضح سفر أعمال الرسل ، النزاع المرير والجدال العنيف الذى أثاره اليهود فى رفض اشتراك الأمم معهم ، أواقرار مساواتهم لهم . لم تكن المعركة حول قبول يسوع بأن المسيح فهذا قد اعترفوا به ، ولكن المعركة دارت حول مركز غير المختتنين من الأمم وقبولهم فى المجتمع الجديد ، وهذا لم يقروه .

وبتعبير آخر كان النزاع يدور حول إدراكين . إسرائيل بحسب الجسد ، وإسرائيل الله الحقيقية ، وكان المسيحيون الأوائل من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، كما كان العهد القديم هو الكتاب المقدس للمسيح وللمسيحيين الاقدمين .

وكان المسيحيون يتعبدون مع المسيح فى المعابد اليهودية ، وفى هيكل اليهود بأورشليم ، ودخل آلاف من اليهود فى المسيحية .

ودون بولس الرسول ، عند زيارته لأورشليم ، ما سمعه من دخول عشرات الآلاف من اليهود فى المسيحية ، متحمسين للقانون ، جاء فى أعمال الرسل ٢١ : ١٧ — ٢١ « ولما وصلنا إلى أورشليم ، قبلنا الأخوة بفرح ، وفى الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب ، وحضر جميع المشايخ ، فبعد ما سلم عليهم ، طفق

يحدثهم شيئاً فشيئا بكل ما فعله الله بين الأمم ، بواسطة خدمته ، فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب ، وقالوا له : أنت ترى أيها الأخ ، كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا . وهم جميعا غيورون للناموس ، وقد أخبروا عنك لأنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم ، الارتداد عن موسى قائلا : «لا يختنوا أولادهم ، ولا يسلكوا حسب العوائد» .

وفى نهاية القرن الأول للميلاد ، كان معظم الجماعة المسيحية من الأمم ، ولما كتب يوحنا إنجيله فى آخر القرن الأول الميلادى ، وكان كاتبه من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، أشار إلى اليهود باعتبار أنهم فئة تتميز عن المسيحيين ، ومعنى هذا أنه فى مدى نصف قرن من الزمان ، تبدلت الجماعة المسيحية من جماعة قوامها اليهود إلى جماعة قوامها من الأمم .

وسبب هذا التغير ماوضحه سفر أعمال الرسل ، من أن كثيراً من اليهود امتنعوا عن الاستمرار فى جماعة إسرائيل الله ، حيث أن هذه الجماعة كانت اليهود والأمم معاً .

ويبين سفر أعمال الرسل قصد الله فى خلاص الذين يؤمنون ، وبهذا يخلق جيلا جديدا فى المسيح .

وأخذ الرسل يبشرون ويعلمون بأن الخلاص ، لاينصب على قومية معينة أو جنس بذاته ، بل هو لكل من آمن .

واعتنق كثير من اليهود المسيحية ، واعتقدوا فى المسيح بأنه مخلصهم ، ولكنهم أبوا أن يتنازلوا عن مطالبهم القومية ، ورفضوا أن يدخلوا فى جماعة تنادى بمساواة الناس ؛ وكان ذلك حجر عثرة لم يتمكنوا من تخطيه ولم يقبلوا أن يتنازلوا عن مطالبهم .

وكان الأنبياء فى العهد القديم أول من نادى بالمساواة ، كما نادى بذلك رواد المسيحية من اليهود ، وهم تلاميذ المسيح .

هذا وقد خرجت أصوات من إسرائيل ، تدعو إلى عدم خلط شعب الله بالقومية والجنس ، ولكن المأساة استمرت تفعل فعلها فى اليهود فظلوا غير آبهين لكل هذه النداءات ، وتغاضوا عن كل هذه البينات .

وظهرت آثار تلك المأساة على يهود الجيل الحاضر الذين عملوا على إنشاء دولة إسرائيل بكل حيلة .

فدولة إسرائيل لا يمكن أن تعد من وجهة النظر المسيحية إلا دولة سياسية، عليها أن تواجه نصيبها من البقاء أو الزوال ، ولا يمكن أن تعتمد على أنها هى إسرائيل الله، لأن هذا يخالف الانجيل فى أهم نقطة من تعاليمه ، ويتعارض مع أساس العقيدة المسيحية .

إسرائيل

ومدى إدراك المسيحي لمعناها

تضم الألحان والصلوات المستخدمة في طقوس الكنيسة المسيحية ، إسرائيل موضع إهتمام ، ولم يدع أحد من المسيحيين أو يخطر بباله يوما ، وهو يردد هذه الألحان ويقرأ تلك الصلوات ، أنه جسديا من نسل يعقوب الذى سمى اسرائيل ، والذى يعتبر الجد الأول للشعب الذى اختاره الله .

ويعترف المسيحيون بما أسهمت به اسرائيل القديمة في الناحية الدينية وبأنهم عن طريقها عرفوا وحدانية الله .

واسرائيل القديمة خلقت للعالم أسفار العهد القديم ، التى تعترف بها المسيحية.

والأدب المسيحي يعترف بأبطال العهد القديم ، مثل ابراهيم ويعقوب وموسى وداود والأنبياء ويقر نبوتهم ، ويشهد لهم بالإيمان .

وفى الرسالة الى العبرانيين تقرير بأن العهد الجديد هو اتمام العهد القديم ، الذى كان ناقصاً في ذاته ، وغير قادر على منح المتقدمين إليه الكمال .

جاء في الرسالة إلى العبرانيين ٨: ٧ — ١٠ « فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان ، لأنه يقول لهم لائماً : هو ذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ، لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر ، لأنهم لم يثبتوا في عهدى ، وأنا أهملتهم يقول الرب » .

وبرهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين على أن ذبائح العهد القديم كانت رموزاً وظلالا لذبيحة المسيح الواحدة الكاملة، وأن مقدسه الأرضي، مثال للمقدس الحقيقي في السماء (الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ١ — ١٠ ، ١٨).

ويتحدث كاتب الرسالة أيضا عن الإيمان، ويحث على الثبات في الإيمان ، وأخذ يصف مبادئه، ويشهد لأنبياء العهد القديم بالإيمان .

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ١ — ٣٩ :

« وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى ، فإنه في هذا شهد للقدماء .

بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر .

بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين، فيه شهد له أنه بار ، إذ شهد الله لقرابينه ، وبه وان مات يتكلم بعد .

بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ، اذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله ، ولكن بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه ، لأنه يجب أن الذي يأتي الى الله يؤمن بأنه يجازي الذين يطلبونه .

بالإيمان نوح لما أوحي اليه عن أمور لم تر بعد ، خاف فبنى فلكا لخلاص بيته ، فيه دان العالم ، وصار وارثا البر الذي حسب الإيمان .

بالإيمان ابراهيم ، لما دعي أطاع أن يخرج الى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً ، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي .

بالإيمان تغرب في أرض الموعد ، كأنها غريبة ، ساكناً في خيام مع اسحق ويعقوب ، الوارثين معه لهذا الموعد عينه ، لانه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله .

بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل ، وبعد وقت السن ولدت . إذن حسبت الذى وعد صادقا ، لذلك ولد أيضا من واحد ، وذلك من ممات مثل نجوم السماء الكثيرة ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر الذى لا يعد .

فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، وأقروا بأنهم غرباء ، ونزلاء على الأرض ، فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً ، فلو ذكروا ذلك الذى خرجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع ، ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً ، لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم ، لأنه أعد لهم مدينة .

بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب ، قدم الذى قبل المواعيد وحيده ، الذى قيل له إنه بإسحق يدعى لك نسل ، إذ حسب أن الله قادر على الاقامة من الأموات أيضاً الذين منهم أخذه أيضاً فى مثال .

بالإيمان إسحق بارك يعقوب وعيسى ، من جهة أمور عتيدة .

بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابنى يوسف وسجد على رأس عصاه .

بالإيمان يوسف عند موته ذكر خروج بنى إسرائيل ، وأوصى من جهة عظامه .

بالإيمان موسى بعد ما ولد ، أخفاه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا الصبى جميلا ولم يخشيا أمر الملك .

بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله ، على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية ، حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر ، لأنه كان ينظر إلى المجازاة .

بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك ، لأنه تشدد ، كأنه يرى من لا يرى .

بالإيمان صنع الفصح ، ورش الدم ، لئلا يمسهم الذى أهلك الأبكار .

بالإيمان اجتازوا فى البحر الأحمر ، كما فى اليابسة ، الأمر الذى لما شرع فيه المصريون غرقوا .

بالإيمان سقطت أسوار أريحا بعد ما طيف حولها سبعة أيام .

بالإيمان راحاب الزانية ، لم تهلك مع العصاة ، إذ قبلت الجاسوسين بسلام .

وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزنى الوقت ، إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء . الذين بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا براً ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار ، نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء فى الحرب ، هزموا جيوش غرباء .

أخذت نساء أمواتهن بقيامة ، وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل ، وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ، ثم فى قيود أيضاً وحبس . رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلا بالسيف ، وطافوا فى جلود غنم ، وجلود معزى ، معتازين مكروبين مذلين ، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ، تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض .

فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد ، إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكى لا يكملوا بدوننا » .

وكان المسيح والحواريون فى أول أمر الكنيسة ، ينتمون إلى الشعب المدعو إسرائيل ، ويعتنقون الدين اليهودى ، ويؤكد المسيح فى مناسبات مختلفة ، أن

رسالته موجهة إلى العالم أجمع ، ولـكنه أظهر اهتمامه أولا برد الضلالة عن إسرائيل . يقول متى ١٠ : ٥ ، ٦ «هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع،وأوصاهم قائلا :

«إلى طريق أمم لاتمضوا ، وإلى مدينة السامريين لاتدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة » .

وفى متى ١٥ : ٢٤ يقول :

« لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » .

ولـكن المسيح على الرغم من اظهار اهتمامه بإسرائيل ، لم يفرق بين يهودى وغيره من الأمم ، ونجد أنه شفى ابنة المرأة الـكنعانية (متى ١٥ : ٢١-٢٩) ، وضرب مثلا بالسامرى الرحيم . (لوقا ١٠ : ٣٠ - ٣٧) . ونجده فى يوحنا ٤ : ٧ - ٢٦ يتحدث فى رفق مع المرأة السامرية . ويطلب منها أن تعطيه ماء ليشرب ، وقالت له المرأة السامرية كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية « لأن اليهود لا يعاملون السامريين » يوحنا ٩ : ٩ . وشفى خادم قائد المائة الرومانى (متى ٤ : ٥ - ١٠) .

وقال: ان الأنجيل يبشر به فى العالم أجمع . جاء فى انجيل مرقس١٣:١٠ «وينبغى أن يكرز أولا بالانجيل فى جميع الأمم» وجاء فى متى ١٤:٢٤«ويكرز ببشارة الملـكوت هذه فى كل المسكونة . شهادة لجميع الأمم » وكانت الهوة سحيقة بين تلاميذ المسيح واليهود .وذلك لأن التلاميذ عرفوا أن يسوع أنه المسيح المنتظر ، وأن مملـكته روحية ، ولا شأن لها بهذا العالم .

وقد أخذ بطرس تلميذ المسيح يعمد من الأمم ، جاء فى سفر أعمال الرسل ١٠ . ٤٤ - ٤٨ « فبينما بطرس يتـكلم بهذه الأمور ، حل الروح المقدس على

جميع الذين يسمعون الـكلمة ، فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان ، كل من جاء مع بطرس . لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً ، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ، ويعظمون الله . حينئذ أجاب بطرس ، أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس ، كما نحن أيضا ، وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » .

وأخذ بولس الرسول على عاتقه أن يبشر الأمم ، جاء فى سفر أعمال الرسل ٩ : ١٥ « فقال له الرب إذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل إسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل » . وفى سفر أعمال الرسل ٢٢ : ٢١ « فقال لى إذهب ، فإنى سارسلك إلى الأمم بعيدا » .

وكان لوقا كاتب الأنجيل المعروف باسمه من غير اليهود .

وعلى أى حال نعرف أنه فى آخر القرن الأول للميلاد ، كانت الأغلبية الساحقة التابعة للـكنيسة من الأمم .

حافظت المسيحية منذ نشأتها على العهد القديم ، واعتبرته أدبها المقدس . واعتقد المسيحيون أن دينهم لم يكن شيئا جديدا كله ، بل هو تحقيق للقديم وتـكملة . فالوصايا العشر استمر تأثيرها . وكان المبشرون فى عصر المسيحية الأول وبخاصة بولس ، يعلمون أن الأمم إذا اعتنقت المسيحية ، ورثت الوعود التى أعطيت لإسرائيل (أنظر الرسالة إلى أهل غلاطية) ٥ : ١٥ ، ١٦ « لأنه فى المسيح يسوع ، ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة ، فكل الذين يسلـكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة ، وعلى إسرائيل الله .

ويقول بولس : إن إسرائيل الله هى جماعة المؤمنين .

وكان تلاميذ المسيح والرسل يعلمون أن «العهد الجديد» الذى أعلنه إرميا النبى فى العهد القديم ، وأشار إليه كاتب الرسالة الى العبرانيين فى العهد الجديد ، قد تحقق بالمسيح .

يقول ارميا ٣١ : ٣١ — ٣٤ « ها أيام تأتى يقول الرب : وقطع مع بيت اسرائيل ، ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم، يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى ، فرفضتهم يقول الرب ، بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام ، يقول الرب ، أجعل شريعتى فى داخلهم . وأكتبها على قلوبهم ، أكون لهم إلها ، وهم يكونون لى شعبا ، ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه ، و كل واحد أخاه قائلين : اعرفوا الرب ، لأنهم سيعرفوننى ، من صغيرهم الى كبيرهم يقول الرب : لأنى أصفح عن اثمهم ، ولا أذكر خطيئتهم بعد » .

ويذكر كاتب الرسالة الى العبرانيين ،فى العهد الجديد ، ما قاله ارميا (الرسالة الى العبرانيين ٨ : ٨ ــ ١٢) لأنه يقول لهم لائما ، هوذا أيام تأتى يقول الرب : حين أكمل مع بيت إسرائيل ، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ، لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم ، لأخرجهم من أرض مصر . لأنهم لم يثبتوا فى عهدى ، وأنا أهملتهم ، يقول الرب : لأن هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت اسرائيل ، بعد تلك الأيام ، يقول الرب: أجعل نواميسى فى أذهانهم . وأكتبها على قلوبهم ، وأنا أكون لهم إلهاً ، وهم يكونون لى شعباً، ولا يعلمون كل واحد قريبه و كل واحد أخاه قائلا :

«اعرف الرب ، لأن الجميع سيعرفوننى ، من صغيرهم إلى كبيرهم، لأنى أكون صفوحا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم ، فى ما بعد » .

وقد أتى العهد الجديد وتحقق ما قاله إرميا ، وذلك بمجىء المسيح وموته وقيامته ، كما ذكر ذلك كاتب الرسالة الى العبرانيين ١٣ : ٢٠ .

كان بولس الرسول يفخر، بأنه من أصل يهودى ، وأنه اسرائيلى، فيقول فى رسالته الى أهل رومية ١١ : ١ « فأقول : ألعل الله رفض شعبه ؟ حاشا لأنى أنا،

أيضا إسرائيلى ، من نسل إبراهيم ، من سبط بنيامين » . وكان بولس يعتقد أن رفض اليهود للمسيح مؤقتا ، قد أغضب الله عليهم ، وحال دون استحقاق رحمته وفضله .

وقد صرح بولس أن أمله فى خلاص اسرائيل سيتحقق وأن « جميع اسرائيل سيخلص » وذلك بعد أن تدخل الأمم فى المسيحية (الرسالة إلى أهل رومية ١١ : ٢٥ ، ٢٦) وعلى أى حال ، يقول بولس : ان العهد الجديد للجميع ، وأنه لا يميز بين فرد وفرد « لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى ، لأن ربا واحدا للجميع ، غنيا لجميع الذين يدعون به » الرسالة الى أهل رومية ١٠ : ٢٢ .

ويقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية: إن الذين اعتنقوا المسيحية ، لهم الوعد ، وهم ورثته ، وليس اليهود ، فإن كنتم للمسيح ، فأنتم اذا نسل ابراهيم ، وحسب الموعد ورثته » الرسالة الى أهل غلاطية ٣ : ٢٩ .

وهناك أمل يشابه أمل بولس الرسول ، ورد فى رؤيا يوحنا اللاهوتى فى العهد الجديد ، ويعبر عنه سفر الرؤيا فى الاصحاح السابع ، بأن ١٤٤٫٠٠٠ من الاسرائيليين من كل سبط من أسباط يهوذا ١٢٫٠٠٠ يقفون خداما أمام عرش الله. يقول سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٧ : ٢ ـ ٤ ورأيت ملاكا آخر طالعا من مشرق الشمس معه ختم الله الحى ، فنادى بصوت عظيم الى الملائكة الأربعة ، الذين أعطوا أن يضروا الأرض والبحر ، قائلا : لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار ، حتى نختم عبيد إلهنا على جباههم ، وسمعت عدد المختومين . مائة وأربعة وأربعين الفا مختومين ، من كل سبط من بنى اسرائيل . وهنا يأخذ فى ذكر اسباط الاثنى عشرة ، وان من كل منهم ١٢٫٠٠٠ مختوم ، ثم يقول ٧ : ٩ « بعد هذا نظرت ، واذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة ، واقفون أمام الخروف متسربلين بثياب بيض ، وفى أيديهم سعف النخل .

وقد تخيل مؤلف الرؤيا أن عدد الإسرائيليين من الذين اعتنقوا المسيحية ويقفون أمام العرش الإلهى هم قليل جداً ، بالنسبة إلى الحشد الكبير ، الذى يضم جميع الأمم ، والذى لايمكن لأحد أن يعده .

ومن هذا نرى أن المسيحى الذى يؤمن بالكتاب المقدس ، ويعتقد بما جاء فيه ، لايمكنه أن يعتبر « إسرائيل » المقصودة فى الكتاب المقدس ، وحدة جغرافية أو وحدة جنسية أو وحدة سياسية لأنها فى اعتقاده : هى جماعة المؤمنين الذين يطلق عليهم « إسرائيل الله » .

وتكذب المسيحية مايزعمه الصهيونيون من الحق الإلهى ، وترى المسيحية أنها هى وارثة العهد القديم ، وأن اليهود بإنكارهم للمسيح قد ضلوا سواء السبيل .

وتعتبر المسيحية ، أن اليهود الذين أنكروا المسيح ، ليسوا أبناء ابراهيم الحقيقيين ، فابراهيم أب لكل مؤمن ، جاء فى انجيل يوحنا ٨ : ٣٩ — ٤٧ . « أجابوا وقالوا له : أبونا هو ابراهيم ، قال لهم يسوع . لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ، هذا لم يعمله ابراهيم ، أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله » .

فقال لهم يسوع : « لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى ، لأنى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى ، بل ذاك أرسلنى ، لماذا لاتفهمون كلامى ؟ لأنكم لاتقدرون أن تسمعوا قولى ، أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالا للناس من البدء ، ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب ، فإنما يتكلم مما له ، لأنه كذاب وأبو الكذاب ، وأما أنا فلأنى أقول الحق ، لستم تؤمنون بى ، من منكم يبكتنى على خطيه ، فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بى ، الذى من الله يسمع كلام الله ، لذلك أنتم لستم تسمعون ، لأنكم لستم من الله » .

ويقول بولس الرسول ان المؤمنين هم أبناء ابراهيم « كما آمن ابراهيم بالله، فحسب له براً ، اعلموا اذا أن الذين هم من الإيمان ، أولئــك هم بنو ابراهيم » رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ٦ .

والـكنيسة المسيحية هى التى شعارها « شعب الله المختار » وأن اليهود برفضهم المسيح ، إنما يزيفون ذلك الشعار لهم ويدعونه لأنفسهم وهم بعيدون كل البعد عنه . فــكل مؤمن بالمسيح هو من شعب الله المختار ، مهما كان أصله ونشأته ، يقول بولس فى رسالته إلى أهل كولوسى ٣ : ١١ « حيث ليس يونانى ويهودى ، ختان وغرله ، بربرى وسكيثى وعبد حر ، بل المسيح الكامل وفى الكل » .

وقد أصدر المجمع المسكونى فى الفاتيكان أخيرا ، وثيقة تحدد علاقة الـكنيسة الـكاثوليكية بالأديان الأخرى ، وفيها تــكذيب قاطع لدعوى اليهود ، أنهم شعب الله المختار ، وذلك على أساس أن اليهود فقدوا صفتهم بعد مجىء المسيح وتـكوين الـكنيسة .

واليهود أنــكروا المسيح ، وهم فى ذلك يخرجون على تعاليم العهد القديم فالعهد القديم يبشر بالمسيح فى عدة مواضع ، والمسيح عند مجيئه يقرر أنه هو المسيح المنتظر (يوحنا ٤ : ٢٥ ، ٢٦) ولــكن اليهود رفضوا المسيح ، وهم ينتظرون مسيحهم .

والعهد القديم ليس إلا عهدا يجهز ويمهد لمجىء المسيح ، وهو ليس كاملا ، بل هو إعداد لشىء أعظم وهو مجىء المسيح .

وتعتبر المسيحية أن الأرض الموعودة قد تحققت تماماً بمجىء المسيح .

الوعود التى أعطاها الله

إن الكتاب المقدس يضم جزأين هما : العهد القديم والعهد الجديد ، وهما اللذان نعبر عنهما بالتوراة والانجيل .

والعهد القديم يحتوى على اعلان إرادة الله المتوالية لليهود قبل ميلاد المسيح ، والعهد الجديد يشتمل على الأقوال الموحى بها من الله إلى الرسل وكتاب الانجيل .

ويتكون العهد القديم والعهد الجديد معاً من ستة وستين سفراً، منها تسعة وثلاثون سفرا فى العهد القديم .

والكتاب المقدس هو مجموعة هذه الأسفار ووحدتها التى تعرض وتوضح وعود الله وتحقيقها فى التاريخ .

وكلمة « عهد » استخدمت لتشمل الآداب المقدسة ولتدل على موضوعها الأساسى . ويعتبر هذا الاصطلاح نقطةالبداية لدراسة الوعود التى أعطاها الله فى الكتاب المقدس .

عهد الله مع اسرائيل

وردت فى العهد القديم عهود متعددة ، بدأت بعهد أقيم مع نوح و نسله . يقول فى تكوين ٦ : ١٨ « ولكن أقيم عهدى معك ، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك و نساء بنيك معك . »

ويقول فى تكوين ٩ : ٨ — ١٧ « وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : وها أنا مقيم ميثاق معكم ومع نسلكم من بعدكم ، ومع كل ذوات الأنفس الحية التى معكم: الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التى معكم من جميع

الخارجين من الفلك ، حتى كل حيوان الأرض ، أقيم ميثاق معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولا يكون أيضا طوفان يخرب الأرض ، وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم ، وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر . وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض ، فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب ، أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد . فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد . فمتى كان القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض . وقال الله لنوح ، هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بينى وبين كل ذى جسد على الأرض » .

وتتعاقب عهود الله مع الآباء ، يقول فى تكوين ١٥ : ١٨ — ٢٠ « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين »

وفى تكوين ٢٦ : ٢ — ٥ يقول مشيراً إلى يعقوب : « وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر ، اسكن فى الارض التى أقول لك ، تغرب فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك ، لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطى نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » .

ثم يقول أيضاً فى تكوين ٢٨ : ١٣ — ١٥

« وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله إسحاق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض . وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا ، ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل

الأرض ، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض ، لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به » .

وجاء فى خروج ٢ : ٢٤ « فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم واسحق ويعقوب »

ويذكر فى سفر الخروج ٦ : ٤ « وأيضا أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها »

وفى خروج ١٩ : ٥ ، ٦ « فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة ، هذه هى الكلمات التى تكلم بها بنى إسرائيل »

وجاء فى خروج ٢٤ : ٣ — ٨

« فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام ، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا : كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل ، فكتب موسى جميع أقوال الرب .

وبكر فى الصباح وبنى مذبحا فى أسفل الجبل واثنى عشر عمودا لأسباط إسرائيل الأثنى عشر . وأرسل فتيان بنى إسرائيل . فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران . فأخذ موسى نصف الدم ووضعه فى الطسوس ونصف الدم رشه على المذبح . وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له . وأخذ موسى الدم ورش على الشعب ، وقال هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال »

ويقول فى خروج ٣٤ : ٢٧ « وقال الرب لموسى أكتب لنفسك هذه الكلمات ، لأنى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل »

ويلاحظ أن العهد مع نوح فريد فى نوعه ، إذ تضمن كل الأحياء واعتبرهم كلهم من نسل نوح .

أما فى العهود التى تلت عهد نوح ، فقد عامل الله إسرائيل معاملة خاصة . وخص شعب إسرائيل دون الشعوب الأخرى التى تعيش على الأرض .

يقول فى خروج ١٩ : ٥ « فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فإن لى كل الأرض » .

وكذلك فى تثنية ٧ : ٦

« لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »

وفى تثنية ١٤ : ٢ « لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » .

والأساس التى تبنى عليه فكرة العهد ، هو تعاقد بين طرفين يحدد كل طرف منهما الشروط والالتزامات نحو الطرف الآخر .

ونجد أن شروط العهود المختلفة بين الله وإسرائيل فى أسفار موسى الخمسة تبقى ثابتة لا تتغير ويبدأ بها الله . وهى تتضمن وعود الله إلى الآباء ونسلهم .

أولا — أرض كنعان

جاء فى تكوين ١٧ : ٧ ، ٨ « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا . لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا . وأكون إلههم »

وذكر سفر التكوين ١٢ : ٥ — ٧ « فأخذ أبرام ساراى إمرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنينا والنفوس التي امتلكا فى حاران . وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان .

فأتوا إلى أرض كنعان ، واجتاز ابرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة موره . وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض »

وفى تكوين ١٣ : ١٥ « لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد » .

وجاء فى تكوين ١٥ : ١٨ — ٢١ « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا ، لنسلك أعطى هذه الأرض : من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » .

وفى تكوين ٢٤ : ٦ — ٨ « الرب إله السماء الذى أخذنى من بيت أبى ومن أرض ميلادى ، والذى كلمنى والذى أقسم لى قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض ، هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابنى من هناك ، وإن لم تشأ المرأة أن تتبعك تبرأت من حلفى هذا ، أما ابنى فلا ترجع به إلى هناك فوضع العبد يده تحت فخذ ابراهيم مولاه وحلف له على هذا الأمر »

وهذا فى تكوين ٢٦ : ٢ — ٤ « وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر اسكن فى الأرض التى أقول لك . تغرب فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم

أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض » .

وجاء في تكوين ٢٨ : ٤ في الحديث عن بركة إسحاق ليعقوب « ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك ، لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لابراهيم » .

وكذلك تكوين ٢٨ : ١٣–١٤ عند ذكر حلم يعقوب « وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق ، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض »

وفي تكوين ٣٥ : ١٢ يقول « والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطي الأرض »

وفي تكوين ٤٨ : ٣ ، ٤ « وقال يعقوب ليوسف الله قادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني وقال لي ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهورا من الأمم ، وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبديا » .

ويقول في خروج ٦ : ٤ وأيضا أقمت معهم عهدي ، أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها » .

ثانياً — انتصار حربي على الأعداء : سكان البلاد الأصليين .

يقول في خروج ٣٤ : ١٠ — ٢٧ .

« فقال : ها أنا قاطع عهدا ، قدام جميع شعبك أفعل عجائب لم تخلق في كل الأرض .

وفى جميع الأمم ، فيرى جميع الشعب الذى أنت فى وسطه فعل الرب إن الذى أنا فاعله معك رهيب .

احفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخا فى وسطك ، بل تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواريهم ، فإنك لاتسجد لإله آخر لأن الرب إسمه غيور إله غيور هو ، احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم ، وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهن بنيك يزنون وراء آلهتهن .

لاتصنع لنفسك آلة مسبوكة ، تحفظ عيد الفطير سبعة أيام ، تأكل فطيرا كما أمرتك فى وقت شهر أبيب لأنك فى شهر أبيب خرجت من مصر ، إلى كل فاتح رحم وكل ما يولد ذكرا من مواشيك بكرا من ثور وشاة ، وأما بكر الحمار فتفديه بشاة وإن لم تفده تكسر عنقه ، كل بكر من بنيك تفديه ولا يظهروا أمامى فارغين ، ستة أيام تعمل ، وأما اليوم السابع فتستريح فيه . فى الفلاحة وفى الحصاد تستريح . وتصنع لنفسك عيد الأسابيع أبكار حصاد الحنطة وعيد الجمع فى آخر السنة. ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل ، فإنى أطرد الأمم من قدامك وأوسع تخومك ولا يشتهى أحد أرضك حين تصعد لتظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرات فى السنة . لاتذبح على خمير دم ذبيحتى ، ولاتبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح ،أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك ، لاتطبخ جديا بلبن أمه . وقال الرب لموسى أكتب لنفسك هذه الكلمات لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل » .

وجاء فى تكوين ١٥ : ١٩ أن الله سيعطى إسرائيل أرض « القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » .

ويقول فى تثنية ١٧ : ١ — ٥ « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم .

لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم ، بنتك لا تعط لابنه ، وبنته لا تأخذ لابنك ، لأنه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً . ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم ، وتحرقون تماثيلهم بالنار » .

وكذلك جاء فى تثنية ٧ : ١٩ « التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة ، والذراع الرفيعة التى بها أخرجك الرب إلهك . هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التى أنت خائف من وجهها » .

ويقول فى تثنية ٨ : ٢٠ « كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم » .

وجاء فى تثنية ٩ : ١ — ٣ « اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء قوما عظاما وطوالا بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق ، فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارا آكلة ، هو يبيدهم ويذلهم أمامك ، فتطردهم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب » .

ثالثاً — الازدهار الاقتصادى والرخاء .

يقول فى تثنية ٧ : ١٢ — ١٤ « ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام ، وتحفظون وتعملونها ، يحفظ لك الرب إلهك العهد ، والإحسان ، اللذين

أقسم لآبائك ويحبك ويباركك ويكثرك ، ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التي أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها ، مباركا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك » .

وجاء في تثنية ٦ : ٣

« فاسمع يا إسرائيل ، واحترز لتعمل لكي يكون لك خير ، وتكثر جدا كما كلمك الرب إله آبائك ، في أرض تفيض لبنا وعسلا » .

وكذلك جاء في تثنية ٨ : ٧ — ١٠ « لأن الرب إلهك آت بك إلى أرض جيدة ، أرض أنهار ، من عيون وغمار ، تنبع في البقاع والجبال ، أرض حنطة وشعير ، وكرم وتين ورمان . أرض زيتون وعسل ، أرض ليس بالمسكنة ، تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شيء ، أرض حجارتها حديد ، ومن جبالها تحفر نحاسا » .

ويقول في تثنية ٨ : ١٨ « بل اذكر الرب إلهك ، أنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة ، لكي يفي بعهده الذي أقسم لآبائك ، كما في هذا اليوم » .

ويدخل تحت هذه الوعود الواضحة ، الاتصال الشخصي بين الله وبين الآباء ونسلهم ، وتعهد الله لهم ، إذا هم سمعوا الأحكام وحفظوها ، وعملوا بها ، فإنه سيحسن إليهم .

جاء في تثنية ٧ : ١٢ « ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها ، يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك » .

وسيكون معهم ويباركهم ، ويحافظ عليهم ويخلصهم في تكوين ٢٦ : ٢ ، ٣ « وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر ؛ اسكن في الأرض التي أقول

لك ، تغرب فى هذه الأرض «فأكون معك وأباركك ، لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك » .

وجاء فى تكوين ٢٨ : ١٥ « وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض ، لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به » .

ويقول فى خروج ٦ : ٦ ، ٧ « لذلك قل لبنى إسرائيل ، أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة ، وأتخذكم لى شعبا وأكون لكم إلها ، فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال المصريين » .

وجاء فى يشوع ١ : ٩ «أما أمرتك تشدد وتشجع ، لا ترهب ولا ترتعب ، لان الرب إلهك معك حيثما تذهب »

وسيزيد نسلهم ويكثره ؛ وقد وردت فى ذلك عدة آيات فى سفر التكوين.

١٣ : ١٦ وأجعل نسلك كتراب الأرض ، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض . فنسلك أيضاً يعد .

١٧ : ٤ — ٦ « أما أنا فهو ذا عهدى معك ، وتكون أبا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم ، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون » .

٢٦ : ٤ «وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطى نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » .

٢٨ : ١٤ « يكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقا وشمالا وجنوبا ، ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض » .

٤٨ . ٤ «وقال لى ها أنا أجعلك مثمرا وأ كثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبديا » .

* * *

وكانت الشروط والالتزامات والواجبات التى اشترطها العهد، على إسرائيل هى طاعة الله واتباع وصاياه وأوامره ، والعمل بها .

يقول فى خروج ١٩ : ٥ « فالآن إن سمعتم لصوتى ، وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لى كل الأرض » .

وجاء فى تكوين ٢٦ : ٥ « من أجل أن إبراهيم سمع لقولى ، وحفظ مايحفظ لى ، أوامرى وفرائضى وشرائعى » .

ووردت فى ذلك عدة آيات فى سفر التثنية :

٤ : ١ « فالآن ياإسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعملوها لكى تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى الرب إله آبائكم يعطيكم » .

٤ : ١٣« وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به ، الكلمات العشر . وكتبه على لوحى حجر » .

٥ : ٢ — ٢٢ « الرب الهنا قطع معنا عهدا فى حوريب . ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء ، وجها لوجه تكلم الرب معنا ، فى الجبل من وسط النار ، أنا كنت واقفا بين الرب وبينكم فى ذلك الوقت لكى أخبركم بكلام الرب ، لأنكم خفتم من أجل النار ولم تصعدوا الى الجبل ، فقال أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى ، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى ، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يبرىء

من نطق باسمه باطلا ، احفظ يوم السبت لتقدسه . كما أوصاك الرب إلهك ، ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك ، وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وإبنك وابنتك ، وعبدك وأمتك ، وثورك وحمارك ، وكل بهائمك ونزيلك الذى فى أبوابك ، لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك ، واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر ، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة ، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت ، أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكى تطول أيامك ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب إلهك ، لا تقتل ، ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور ، ولا تشته امرأة قريبك ، ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا كل ما لقريبك . هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتك فى الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد ، وكتبها على لوحين من حجر وأعطانى إياها »

٦ : ١ — ٤ « وهذه هى الوصايا والفرائض والأحكام التى أمر الرب إلهكم أن أعلمكم لتعملوها فى الارض ، التى أنتم عابرون اليها لتمتلكوها ، لكى تتقى الرب إلهك وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه التى أنا أوصيك بها أنت وابنك وابن ابنك كل أيام حياتك ، ولكى تطول أيامك ، فاسمع يا اسرائيل واحترز لتعمل لكى يكون لك خير ، وتكثر جدا كما كلمك الرب اله آبائك فى أرض تفيض لبنا وعسلا ، اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا إله واحد »

٦ : ٢٤ ، ٢٥ « فأمرنا الرب أن تعمل جميع هذه الفرائض ، ونتقى الرب إلهنا ، ليكون لنا خير كل الأيام ، ويستبقينا كما فى هذا اليوم ، وانه يكون لنا بر إذا حفظنا جميع هذه الوصايا لنعملها أمام الرب إلهنا كما أوصانا » .

٧ : ٩ — ١٦ « فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد

والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل ، والمجازى للذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم لا يهمل من يبغضه ، بوجهه يجازيه ، فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعملها ، ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك ، ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التى أقسم لآبائك أن يعطيك إياها ، مباركا تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك ، ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها ، لا يضعها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك ، وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك ، لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك لك » .

٨ : ١ — ١٨ « جميع الوصايا التى أنا أوصيك بها اليوم تحفظون لتعملوها لكى تحيوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم وتتذكر كل الطريق التى فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة فى القفر لكى يذلك ويجربك ليعرف ما فى قلبك ، أتحفظ وصاياه أم لا ، فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذى لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك ، لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان ، ثيابك لم تبل عليك ، ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة ، فاعلم فى قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك واحفظ وصايا الرب إلهك ، اتسلك فى طرقه وتتقيه لان الرب إلهك آت بك إلى أرض جيدة أرض أنهار من عيون وغمار تنبع فى البقاع والجبال ، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ، أرض زيتون زيت وعسل أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شىء ، أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا ، فمتى أكلت وشبعت تبارك الرب إلهك لأجل الأرض الجيدة التى أعطاك ، احترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه

وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم ، لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتا جيدة ، وسكنت وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب ، وكثر كل مالك ، يرتفع قلبك وتنسى الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، الذى سار بك فى القفر العظيم المخوف مكان حيات محرقة وعقارب وعطش حيث ليس ماء ، الذى أخرج لك ماء من صخرة الصوان ، الذى أطعمك فى البرية ، المن الذى لم يعرفه آباؤك لكى يذلك ويجربك لكى يحسن إليك فى اخرتك ، ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة ، بل اذكر الرب إلهك إنه هو الذى يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكى يفى بعهده الذى أقسم به لآبائك كما فى هذا اليوم » .

* * *

وأوضح سفر التثنية نتيجة الإخلال بهذه الشروط ، وعدم حفظ وصايا الله وذلك فى قوله ٨ : ١٩ ، ٢٠ .

« وإن نسيت الرب إلهك ، وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها ، اشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة ، كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم ، كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم »

ونرى أن الشروط التى نص عليها عهد الله فى الآيات المختلفة ، تبين لنا الأساس ، وتدلنا على الكيفية التى يمكننا بواسطتها أن نفهم مدلول الأسفار التاريخية والنبوات المتأخرة فى العهد القديم .

تحدثنا أسفار يشوع وقضاة وصموئيل الأول والثانى من أسفار العهد القديم عن كيفية استيلاء إسرائيل على أرض كنعان ، وعن انهزام أعداء إسرائيل ، وعن إقامة مملكة شاوول وداود .

وتحدثنا الاصحاحات الأولى من سفر الملوك الاول عن ازدهار المملكة أيام سليمان .

وهذا القدر من التاريخ هو قصة مطولة عن تحقيق الله لوعوده التى تعهد بها

لإسرائيل، ويدل من ناحية أخرى على كيفية سلوك إسرائيل حين انحطت ميولهم الدينية ، وفسدت أخلاقهم ، واتصلوا بالديانات والعبادات الوثنية ، واعتبروا أنفسهم شعب الله المفضل ، وأنهم يستحقون كل البركات التى وعدهم الله بها فى عهده وذلك دون أن يقيموا اعتباراً لما يجب عليهم عمله من اتباع وصايا الله . ومراعاة شروط العهد بالسلوك الذى يكسبهم مرضاة الله .

وكان الأنبياء ممن اختارهم الله ليحكموا على شعب رفض أن يطيع الله. ويحفظ عهده . فكان إيليا النبى أول من احتج على أفعال إسرائيل ، وتصرفات الشعب .

جاء فى الملوك الأول ١٩ : ١٠ « وكان كلام الرب إليه يقول له ما لك . ههنا يا إيليا ، فقال قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف ، فبقيت أنا وحدى ، وهم يطلبون نفسى ليأخذوها » .

وذكر عاموس الشعب بما فعله الله ، ثم أنذرهم، يقول عاموس ٢ : ٩ ، ١٠ «وأنا قد أبدت من أمامهم الأمورى ، الذى قامته مثل قامة الأرز ، وهو قوى . كالبلوط ، أبدت ثمره من فوق وأصوله من تحت ، وأنا أصعدتكم من أرض مصر ، وسرت بكم فى البرية أربعين سنة لترثوا أرض الأمورى » .

ثم يقول عاموس ٣ : ٢ « إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض ، لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم » .

ويقول هوشع ١١ : ١ — ٤ « لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابنى ، كل ما دعوهم ذهبوا من أمامهم ، يذبحون للبعليم ويبخرون للتماثيل المنحوتة وأنا درجت أفرايم ممسكا إياهم بأذرعهم ، فلم يعرفوا أنى شفيتهم ،

كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة ، وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم ، ومددت إليه يدى مطعما إياه » .

ويقول إرميا ١١ : ٩ — ١٤ .

«وقال الرب لى ، توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم ، قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامى، وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها ، قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم لذلك هكذا قال الرب ، ها أنذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه ، ويصرخون إلى فلا أسمع لهم ، فينطلق مدن يهوذا وسكان أورشليم ويصرخون إلى الآلهة التى يبخرون لها فلن تخلصهم فى وقت بليتهم ، لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يايهوذا . وبعدد شوارع أورشليم، وضعتم مذابح للخزى ، مذابح للتبخير للبعل ، وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ، لأنى لا أسمع فى وقت صراخهم إلى من قبل بليتهم » .

وجاء فى إرميا أيضا ٢٢ : ٧ — ١٧ .

« ويعبر أمم كثيرة فى هذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ، فيقولون من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها .

لا تبكوا ميتا ولا تندبوه ، ابكوا ابكوا من يمضى ، لأنه لا يرجع بعد فيرى أرض ميلاده لأنه هكذا قال الرب عن شلوم بن يوشيا ملك يهوذا المالك عوضا عن يوشيا أبيه الذى خرج من هذا الموضع لا يرجع إليه بعد ، بل فى الموضع الذى سبوه إليه يموت وهذه الأرض لا يراها بعد .

ويل لمن يبنى بيته بغير عدل وعلاليه بغير حق، الذى يستخدم صاحبه مجانا، ولا يعطيه أجرته ، القائل أبنى لنفسى بيتا وسيما وعلالى فسيحة ، ويشق لنفسه

كوى ويسقف بأرز ، ويدهن بمغرة ، هل تملك لأنك أنت تحاذى الأرز ، أما أكل أبوك وشرب وأجرى حقا وعدلا ، حينئذ كان له خير . قضى قضاء الفقير والمسكين ، حينئذ كان خير ، أليس ذلك معرفتى يقول الرب ، لأن عينيك وقلبك ليست إلا على خطفك وعلى الدم الذكى لتسفكه ، وعلى الاغتصاب والظلم لتعملهما » .

* * *

وقد نبه الأنبياء على هلاك إسرائيل ، فهم يقولون إن الله سيقضى على إسرائيل لما ارتكبته من إثم وخطيئة ، وإن اسرائيل سيسقط حقها فى وعود الله .

وهذا الإنذار بالخراب الذى أعلنه الأنبياء ، لا هوادة فيه ، ولا مداراة وهو يمهد الطريق على أى حال ، لتفسير جديد فى قصد الله وغرضه .

إن تاريخ إسرائيل يبين أن الله لا يهمه فى الأصل فتوحات اسرائيل الحربية أو تأمينها جغرافيا أو انتعاشها اقتصاديا ولكن تنبؤات الأنبياء تحققت حين قضى على إسرائيل كشعب سنة ٧٢٢ ق م وحين سبيت يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م

وقال الأنبياء بعد هذا إن الله يهمه علاقة اسرائيل به على أساس صلاحه وعدالته ورحمته . وهى علاقة بين الله والناس ، وهى تشمل أيضاً العلاقة المستقيمة بين الناس بعضهم وبعض . وتنبأ الأنبياء أن إنجاز هذا القصد مع البقية من الشعب التى تتجاوب بالتوبة وتمسكت فى طاعة الله ، يقول عاموس ٥ : ٤ — ٦ .

« لأنه هكذا قال الرب لبيت إسرائيل ، اطلبوا فتحيوا ، ولا تطلبوا بيت إيل ، وإلى الجلجال لا تذهبوا ، وإلى بئر سبع لا تعبروا ، لأن الجلجال تسبى سبياً ، وبيت إيل تصير عدما ، اطلبوا الرب فتحيوا لئلا يقتحم بيت يوسف كنار تحرق ، ولا يكون من يطفئها من بيت إيل » .

وينادي عاموس الشعب قائلا ٥ : ١٠ — ٢٤ .

«إنهم في الباب يبغضون المنذر ويكرهون المتكلم بالصدق ، لذلك من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ، ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروما شهية ولا تشربون خمرها ، لأني علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها المضايقون البار الآخذون الرشوة الصادون البائسين في الباب ، لذلك يصمت العاقل في ذلك الزمان لأنه زمان رديء . اطلبوا الخير لا الشر لكي تحيوا فعلى هذا يكون الرب إله الجنود معكم كما قلتم . أبغضوا الشر وأحبوا الخير، وثبتوا الحق في الباب لعل الرب إله الجنود يتراءف على بقية يوسف . لذلك هكذا قال السيد الرب إله الجنود ، في جميع الأسواق نحيب، وفي جميع الأزقة يقولون آه آه ويدعون الفلاح إلى النوح ، وجميع عارفي الرثاء للندب ، وفي جميع الكروم ندب ، لأني أعبر في وسطك قال الرب . ويل للذين يشتهون يوم الرب ، لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور ، كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية ، أليس يوم الرب ظلاما لا نورا وقتاما ولا نور له .

بغضت ، كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم ، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرضى، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها ، أبعد عني ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع ، وليجر الحق كالمياه ، والبر كنهر دائم ».

ويشير اشعيا إلى هذا المعنى في قوله ٦ . ١٣ .

« وان بقي فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب ، ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قطعت فلها ساق ، يكون ساقه زرعا مقدساً ».

ويقول اشعيا عن بقية الشعب ١٠ : ٢٢

«لأنه وإن كان شعبك يا اسرائيل كرمل البحر ، ترجع بقية منه قد قضي بفناء فائض بالعدل » .

وقد لخص النبي ميخا تعاليم الأنبياء فى هذا الصدد بقوله ٦ : ٨ .

« قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك » .

وعلى هذا يمكننا أن نلخص النبوات فى العهد القديم بأن الأنبياء فى الأصل توجهوا إلى الشعب يحذرونه فى مواقف معينة بلغة تحمل فى تعبيرها ناحية سلبية واضحة ، وكان هدفهم القضاء على الأفكار الخاطئة والعبادة الفاسدة ، وكان تأثيرها النهائى إيجابيا وإنشائيا فى تغيير مفهوم « عهد الله » إلى معنى سام - كان الأنبياء يتلقون الوحى من الله ، ليتفهموا الحوادث ، ويعلنوا معناها ومدلولها .

وكان « الخلاص » فى العصر الأول لقيام شعب إسرائيل ، يشير إلى الانتصار الحربى بمساعدة الله .

ويقول فى المزامير ١٣٦ : ١ « وأخرج اسرائيل من وسطهم لأن إلى الأبد رحمته » .

أما فى تعاليم الأنبياء ، فإن « الخلاص » معناه البركة الروحية للإيمان الصحيح ، أنه من الخطأ أن نعتبر تطور الدين عند إسرائيل يسير فى طريق واحد أو يأخذ صورة موحدة ، إن الآراء القديمة والمنهج النموذجى فى السلوك انقضى ، وأصبح التفكير اليهودى لا يتمشى مع النظام المنطقى .

ينادى ارميا الشعب بقوله ٧ : ٣ - ٧

« هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل ، أصلحوا طرقكم وأعمالكم ، فأسكنكم فى هذا الموضع ، لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين : هيكل الرب هيكل الرب ، هيكل الرب هو ، لأنكم ان أصلحتم طرقكم وأعمالكم »

إن أجريتم عدلا بين الإنسان وصاحبه ، إن لم تظلموا الغريب واليتيم والأرملة ، ولم تسفكوا دما زكيا فى هذا الموضع ، ولم تسيروا وراء آلهة أخرى لأذائكم فإنى أسكنكم فى هذا الموضع ، فى الأرض التى أعطيت لآبائكم من الأزل وإلى الأبد » .

ثم يستطرد إرميا ٧ : ١٣ ـ ١٦ .

« والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب وقد كلمتكم مبكرا ومكلما فلم تسمعوا ، ودعوتكم فلم تجيبوا ، أصنع بالبيت الذى دعى باسمى عليه ، الذى أنتم فتكلون عليه ، وبالموضع الذى أعطيتكم وآباؤكم إياه كما صنعت بشيلو ، وأطرحكم من أمامى كما طرحت كل أخوتكم نسل أفرايم ، وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح على لأنى لا أسمعك » .

لاشك أنه كان فى مقدور الأنبياء أن يصرحوا ويلحوا فى أقوالهم ، على أن الصلاح والعدالة والرحمة كانت متضمنة فى الوعد الأول .

ويقول إرميا ١١ : ١ — ٨ .

« الكلام الذى صار الى إرميا من قبل الرب قائلا : اسمعوا كلام هذا العهد وكلموا رجال يهوذا وسكان أورشليم ، فتقول لهم هكذا قال الرب إله اسرائيل ملعون الإنسان الذى لا يسمع كلام هذا العهد ، الذى أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من أرض مصر من كور الحديد قائلا : اسمعوا صوتى واعملوا به حسب كل ما آمركم به فتكونوا لى شعبا وأنا أكون لكم إلها ، لأقيم الحلف الذى حلفت لآبائكم أن أعطيهم أرضا تفيض لبنا وعسلا كهذا اليوم ، فأجبت

وقلت آمين يارب ، فقال الرب لى ، ناد بكل هذا الكلام فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم قائلا ، اسمعوا كلام هذا العهد واعملوا به ، لأنى أشهدت على آبائكم إشهادا يوم أصعدتهم من أرض مصر إلى هذا اليوم مبكرا ومشهدا قائلا اسمعوا صوتى ، فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم ، بل سلكوا كل واحد فى عناد قلبه الشرير ، فجلبت عليهم كل كلام هذا العهد الذى أمرتهم أن يصنعوه ، ولم يصنعوه » .

ولكن الأنبياء أصروا مبينين أن تاريخ إسرائيل المتعاقب يدل على أن الله كان يعمل ليتنقى الصالح والجوهرى ويستبعد الثانوى والعرضى .

يقول ملاخى ٣ : ٢ — ٧

«ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره ، لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار ، فيجلس ممحصا ومنقيا للفضة فينقى بنى لاوى ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر ، فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضية للرب كما فى أيام القدم وكما فى السنين القديمة ، وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهدا سريعا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زورا ، وعلى السالبين أجرة الأجير والأرملة واليتيم ، ومن يصد الغريب ولا يخشانى ، قال رب الجنود : أنا الرب لا أتغير ، فأنتم يابنى يعقوب لم تفنوا ، من أيام آبائكم حدتم عن فرائضى ولم تحفظوها . ارجعوا إلى أرجع إليكم ، قال رب الجنود ، فقلتم بماذا نرجع » .

وظهرت النتيجة واضحة فى قول زكريا الذى ورد فى إنجيل لوقا ١ : ٦٧ — ٧٩ .

« وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلا : مبارك الرب إله

إسرائيل ، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه ، وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه ، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر ، خلاص من أعدائنا ، ومن أيدى جميع مبغضينا ، ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس ، القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا ، إننا بلا خوف منقذين من أيدى أعدائنا نعبده ، بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا ، وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء ، ليضىء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام » .

إن قول زكريا الذى جاء فى العهد الجديد قبل مجىء المسيح هو فى الواقع تفكير يهودى معنى ومبنى ، وهذا النص هو تفسير واضح كاشف للتغيير الهام الذى حدث من تأثير الأنبياء فى العهد القديم لرفع الدين من المستوى الذى كان عليه إلى المستوى الذى نشدوه .

* * *

وهناك اصطلاحان يتصلان بتاريخ الوعد وقد أصبحا يعبران عن وعود أخرى لله وهما : المسيح والروح .

المسيح

إن المعنى الحرفى للفظة « مسيح » هو الممسوح بالزيت ، وقد استعملت هذه الكلمة لأول مرة فى العهد القديم فى صموئيل الأول ١٠ : ١

« فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله ، وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا » .

والحديث هنا عن شاؤل .

وفى صموئيل الأول ١٦ : ١٣ « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط إخوته ، وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا ، ثم قام صموئيل وذهب إلى الرامة » والحديث هنا عن داود .

ودلالة اللفظ فى الموضعين هى المسح من عند الله ليكون ملكا على إسرائيل. وفى صموئيل الثانى ٧ : ١٢ تجد أن ملك داود سيثبت فى نسله من بعده بالوراثة «متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك ، أقيم بعدك نسلك ، الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته » .

ويمكن أن نعتبر أن الملك المتخيل هو إنسان أرضى مشوب بالسياسة وله صفة حربية ، وداود هو المثل المجسم له ، ويلاحظ أن الملكية لعبت دوراً هاماً فى تحقيق وعود الله الأصلية فى عهده .

وفى عصر إشعيا وإرميا نجد نبوات تختص بملك ، من نسل داود ، من نوع خاص يميز بصفات إضافية من الإيمان الصحيح والحكمة والعدل ويحل فيه روح الله .

يقول إشعيا ١١ : ١ — ٥ .

« ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب ، ولذته تكون فى مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائس

الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه » .

ويقول إرميا ٣٣ : ٥ — ٦

« ها أيام تأتي يقول الرب ، وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلا في الأرض ، في أيامه يخلص يهوذا ، ويسكن إسرائيل آمنا، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا » .

وقد فسر الأنبياء العهد برفعه إلى درجة عليا من الأخلاق والروحانية ، وفسروا أيضاً بطريقة مماثلة فكرة المسيح ، وبعد انقضاء مئات من السنين على موت الأنبياء ظهرت مدرسة فلسفية جديدة في عهد المكابيين ، ترمي إلى إنشاء مملكة الله بعيدة عن الطرق المألوفة أو الطبيعية ، وتعتمد على تدخل الله في التاريخ بطريقة خارقة للعادة .

ونجد في سفر دانيال أن الله سيرسل من ينشيء مملكته وقد دعاه « بابن الإنسان » .

يقول دانيال ٧ : ١٣ ، ١٤

« كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الانسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه ، فاعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لن ينقرض » .

ولما دالت مملكة إسرائيل انقطع معها ظهور الأنبياء .

وكان تاريخ إسرائيل منذ أن جدد الهيكل فى زمن المكابيين يقتصر على تأملات ، واتجهت أفكارهم نحو آمال يرجون بلوغها ، ونشأ فيهم الرجاء بمجىء مخلص عظيم وكان هذا المخلص المنتظر هو المركز الذى تجمعت حوله الأمانى .

كان الأنبياء يتطلعون إلى عصر تتحرر فيه إسرائيل من شرورها ، لتدخل فى عصر ذهبى ، ولكن ذلك لم يتحقق فى عصر الأنبياء .

وملأ هذا الرجاء قلب الشعب أثناء حروب المكابيين ، ولكن أمله خاب أيضا ، وأخذ الناس يتطلعون إلى مستقبل زاهر متوقعين ملكوتا يعتبر مثلا أعلى يعم فيه الفرح ويسود فيه السلام لمجىء المسيح . واعتقد المفكرون من إسرائيل وظلوا على إيمانهم ، بأن الله سيتداخل فى الأمر ليكمل وعده لإسرائيل .

إن الأسفار التى تسمى الأسفار غير القانونية أو الأسفار المحذوفة ، والتى كتبت فى العصر الواقع بين كتابة أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد تشير إلى المسيح ، ففى سفر يشوع بن سيراخ إشارات قليلة إلى المسيح وهو يتكلم عن مسيح من بيت داود ، ويصف سفر طوبيت مملكة المسيح التى يقدم فيها أبناء الأبرار شكرهم للرب فى أورشليم والتى ستأتى عليها أمم كثيرة من بعيد ، ونقرأ فى سفر المكابيين الأول ، أنهم حينما هدموا المذبح وضعوا الحجارة فى جبل البيت منتظرين أن يقوم نبى ويتصرف فى الحجارة .

ويصف سفر الحكمة ذلك المستقبل السعيد الذى سيكون نصيب إسرائيل عند مجىء المسيح .

أما أسفار الرؤيا فتتكلم صراحة عن مسيح ، ففى سفر أخنوخ يذكر صفاته العلوية ومنها أنه كان قبل خلق العالم كائنا إلهيا ، وقاضيا عادلا وقد أطلق عليه

أسماء مختلفة منها : المسيح والمختار والبار وابن الإنسان وأخذ اليهود ينتظرون ذاتا يتحقق فيها جوهر النظام الدينى القديم وهو المسيح ، فبعد أن كان اليهود فى القديم يعتبرون الناموس ، أى النظام الشرعى ، هو واسطة الشركة مع الله ، أصبحوا يعتقدون أن هذه الشركة تتكون بواسطة شخص ، هو المسيح .

ويلاحظ أن هذه الآراء المختلفة عن المسيح لم تتعاقب و لم يحل رأى محل رأى ، بل أبقى عليها الوعى المشترك لإسرائيل بدرجات مختلفة من الإدراك .

وفى أول العصر المسيحى كانت هناك ثلاثة تيارات فكرية عن ماهية المسيح: هل هى سياسية أو تنبؤية أو سرية .

الروح :

تدل اللفظة العبرية « روح » على معنين : المعنى الأول هو الريح ، وهو قوة غير مرئية خارج الإنسان تحدث تأثيرا مرئيا ، ومنذ العصور القديمة كان الريح يعتبر ظاهرة من ظواهر الله غير المرئى فى العالم .

يقول فى تكوين ١ : ٢ « وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » .

والمعنى الثانى : هو عنصر فى الإنسان « النسمة » وهو أساس الحياة . يقول فى تكوين ٢ : ٧

« وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية » .

ولفظة روح تعنى أيضا اتحاد الإدراك الظاهر لقوة الله بالإدراك الباطن لحياة الإنسان الداخلية . وكان روح الله فى العهد القديم هو الواسطة التى يوحد الله بها الإنسان بذاته تعالى .

وكان اليهود فى العصور القديمة يعتقدون أن روح الله هى تقوية جسمانية، وهى القوة التى تجعل الإنسان متفوقاً على الناس ، يقول سفر القضاة فى حديثه عن شمشون ١٤ : ١٩ .

« وحل عليه روح الرب فنزل إلى أشقلون ، وقتل منهم ثلاثين رجلا ، وأخذ سلبهم وأعطى الحلل لمظهرى الأحجية ، وحمى غضبه وصعد إلى بيت أبيه » .

وكان الروح هو الذى يوحى إلى الأنبياء ، الذين كانوا يعتقدون أن عمل الروح الحقيقى هو إخضاع الإنسان خلقياً وسلوكيا لإرادة الله .

يقول ميخا ٣ : ٨ « لكننى أنا ملآن قوة روح الرب وحقا وبأسا لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته » .

ويقول حزقيال ٣٦ : ٢٧ متحدثا بلسان الوحى الالهى « وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها » .

ويقول إشعيا : إن هبة الروح هى علامة المسيح المنتظر ١١ : ١، ٢ « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب . روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » .

وفى سفر يوئيل يصبح وعد الروح عالمياً ٢ : ٢٨ ، ٢٩ « ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويحلم شيوخكم أحلاما، ويرى شبابكم رؤى، وعلى العبيد أيضا وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام » .

وهذه النصوص تجعل الروح إلهية ، وأساسا للوحدة فى العلاقة بين الله والإنسان ، وترمى وجهة النظر هذه إلى جعل دين إسرائيل ينتهى إلى العالمية، وهذه النهاية هى العهد الجديد الذى تنبأ به إرميا فى قوله :

٣١ : ٣١ — ٣٤ « ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم .

يقول الرب ، بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام .

يقول الرب ، أجعل شريعتى فى داخلهم ، وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها ، وهم يكونون لى شعبا ، ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه ، وكل واحد أخاه ، قائلين : اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم .

يقول الرب ، لأنى أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد » .

تحقيق الوعود :

يذهب العهد القديم فى النصوص التى ذكرناها ، إلى أن وعود الله ستتحقق فى المستقبل . والعهد الجديد هو الذى سجل هذا التحقيق كما ذكره الأنبياء :

إذ يقول متى ١ : ٢٢ ، ٢٣ « وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل، هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا»

كما يقول أيضا (متى ٢ : ٢٣) « وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا » .

ويقول كذلك (متى ٤ : ١٤ — ١٦) « لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم.

الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما ، والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نوره » .

ويحدثنا الانجيل عن رسالة المسيح ، وعن اعتقاد تلاميذه فيه بأنه المسيح. مرقس ١ : ١٠ ، ١١ .

« وللوقت وهو صاعد من الماء ، رأى السموات قد انشقت ، والروح مثل حمامة نازلا عليه ، وكان صوت من السموات : أنت ابنى الحبيب الذى به سررت » .

وكان السؤال يتردد عن ماهية رسالة المسيح . وتحدثنا الأناجيل عن صفة هذه الرسالة وأنها تحددت فى رسالة واحدة لاتقبل احتمالات مختلفة .

يقول مرقس ١ : ١٢ — ١٤ .

« وللوقت أخرجه الروح إلى البرية ، وكان هناك فى البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان ، وكان مع الوحوش ، وصارت الملائكة تخدمه ، وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله » .

وجربه الشيطان كما يذكر متى ٤ : ١ — ١١ « ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس ، فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة ، جاع أخيرا فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله ، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، فأجاب وقال مكتوب : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له إن كنت ابن الله ، فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لاتصدم بحجر رجلك ، قال له يسوع مكتوب أيضا :

لا تجرب الرب الهك ، ثم أخذه أيضاً ابليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع : اذهب ياشيطان ، لأنه مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم تركه إبليس ، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » .

ويقول لوقا ٤ : ١—١٣ « أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية ، أربعين يوماً يجرب من ابليس ، ولم يأكل شيئاً فى تلك الأيام ، ولما تمت جاع أخيرا ، وقال له ابليس : ان كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزاً ، فأجابه يسوع قائلا : مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله ، ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان وقال له إبليس لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلى قد دفع ، وأنا أعطيه لمن أريد ، فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع ، فأجاب يسوع وقال اذهب ياشيطان ، إنه مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم جذبه الى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى أسفل ، لأنه مكتوب : أنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك . وأنهم على أياديهم يحملوك لكى لا تصدم بحجر رجلك ، فأجاب يسوع وقال : انه قيل : لا تجرب الرب الهك ، ولما أكمل ابليس كل تجربة فارقه إلى حين » .

وتدل هذه الآيات على رفض المسيح الانقياد فى عمل المعجزة بروح الإجابة على التحدى لأن ذلك من قبيل الزهو الذى لا محل له فى طبيعته الروحية البحتة.

يقول متى ٤ : ٢—٤ : فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيرا فتقدم إليه المجرب وقال له ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » .

وكذلك يقول متى ٤ : ٥ ـ ٧ :

« ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب : أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك ، قال له يسوع ، مكتوب . أيضاً لا تجرب الرب الهك » .

ورفض المسيح أيضا الحكم السياسى يقول متى ٤ : ٨ — ١٠ .

« ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، . وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى ، حينئذ قال له يسوع ، اذهب ياشيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » .

واحتفظ المسيح بالصفة التى تنبأ بها إشعيا وإرميا ، أى أن المسيح يتصف . بروح الحكمة والمعرفة وروح المشورة .

ولهذا نجد المسيح بعد عودته من البرية يبدأ التبشير بالدين الحقيقى .

يقول متى ٤ : ١٧

« من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب . ملكوت السموات » .

ويقول لوقا ٤ : ١٥ « وكان يعلم فى مجامعهم ممجداً من الجميع » .

وكان أساس تعاليم المسيح هو صلة الله بأبنائه البشر .

وكان الفريسيون بتفسيرهم للقانون قد عقدوا الدين ، ولهذا بسط المسيح فهم الدين وحدده ، وبين أن جوهره هو علاقة الله بالانسان ، وأن هذه العلاقة هى صلة الرب بأبنائه ، ودعا إلى أن يتشبه الناس بالله فى الكمال من حيث أنهم أبناؤه .

يقول متى ٥ : ٤٣ — ٤٨ .

« سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى من يبغضكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين ، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ، وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا ، فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » .

وأكد المسيح أن القانون وتعاليم الأنبياء تعتمد على وصيتين :

الأولى هى محبة الله ، يقول فى تثنية ٦ : ٥

« فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » .

والوصية الثانية هى حب الجار يقول فى لاويين ١٩ : ١٨

« ولا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك ، أنا الرب » .

وصرح المسيح أنه جاء ليكمل القانون .

جاء فى متى ٥ : ١٧ « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » .

ويقول متى ٧ : ١٢ « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء » .

والمسيح يحقق الوعد الذى جاء فى تثنية ١٨ : ١٥ — ١٩ بظهور موسى آخر وفيما يلى نص هذا الوعد :

« يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى، له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة لئلا أموت ، قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم فى كل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » .

وقد ورد إيضاح لهذا العهد فى سفر أعمال الرسل ٣ : ٢٢ — ٢٦ .

« فان موسى قال للآباء إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب ، وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام ، أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لإبراهيم . وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض ، إليكم أولا إذا أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم ، برد كل واحد منكم عن شروره » .

ولما فسر المسيح القانون من جهته الروحية غضب الفريسيون واصطدموا به يقول مرقس ٣ : ١ — ٦

« ثم دخل أيضاً إلى المجمع وكان هناك رجل يده يابسة فصاروا يراقبونه هل يشفيه فى السبت ، لكى يشتكوا عليه، فقال للرجل الذى يده يابسة ، قم فى الوسط، ثم قال لهم هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو قتل فسكتوا ، فنظر حوله إليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يدك ، فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى ، فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين وتشاوروا عليه لكى يهلكوه » .

وكان بطرس أحد تلاميذه هو أول من عرف أنه المسيح ، فى وقت كان يراه المسيح سابقاً للأوان الملائم لإعلان حقيقته ، وذلك حرصاً على أن لا تقوم عراقيل فى سبيل رسالته . إذ جاء فى إنجيل مرقس ٨ : ٢٧ — ٢٩ « ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم : من يقول الناس إنى أنا ؟ فأجابوا يوحنا المعمدان وآخرون إيليا ؛ وآخرون واحد من الأنبياء ، فقال لهم : وأنتم من تقولون إنى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح ، فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » .

ثم أوضح المسيح لتلاميذه ماسينتابه من آلام مقدرة ، على أنها من جوهر رسالته وفى صميمها ، كما يتضح من النص التالى :

« وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم ، وقال القول علانية ، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره ، فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا : اذهب عنى ياشيطان ، لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس » . مرقس ٨ : ٣١ — ٣٣ .

ثم أعلن أن رسالته هى رسالة جهاد روحى بحت ، كله تضحية وفداء وعمل من أجل الآخرة . كما يستفاد من النص التالى :

« ودعا الجمع مع تلاميذه وقال لهم : من اراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها . لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ، لأن من استحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحى به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين » مرقس ٨ : ٣٤ — ٣٨ .

وجاء فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس أن دم المسيح هو العهد الجديد ١١ : ٢٣ ـ ٢٦ .

« لأنى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً إن الرب يسوع فى الليلة التى فيها أخذ خبزاً ، وشكر فكسر وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ، اصنعو هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلا : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى ، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى . فإنكم كلما أكلتم الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » .

وقال المسيح أن مملكته ليست من هذا العالم .

يقول يوحنا فى إنجيله ١٨ : ٣٣ ـ ٤٠ .

« ثم دخل بيلاطس أيضا إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود ، أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى » .

أجابه بيلاطس ألعلى أنا يهودى . أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى ، ماذا فعلت ؟ أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتى من هنا ، فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك ، أجاب يسوع أنت تقول إنى ملك ، لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى ، قال له بيلاطس ما هو الحق ، ولما قال هذا خرج أيضا إلى اليهود ، وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة ، ولكم عادة أن أطلق لكم واحداً فى الفصح ، أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود . فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين : ليس هذا بل باراباس ، وكان باراباس لصا » .

وواضح مما تقدم أن العهد القديم الذى كان يهتم بمملكة أرضية قد ألغى ، وحل محله العهد الجديد الذى وعد بمملكة سماوية .

يقول مرقس ١٤ : ٦١ ـ ٦٢

أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشىء فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له أنت المسيح ابن المبارك ، فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء » .

ويقدم لوقا فى إنجيله حياة المسيح كلها : من التنبؤ بمولده حتى ظهوره إلى تلاميذه بعد قيامته من الأموات ، على أنها من عمل الروح القدس .

يقول لوقا : ١ : ٣٥

« فأجاب الملاك وقال لها ، الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » .

١ : ٦٧ « وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس و تنبأ قائلا » . (وأبوه هنا يعود الضمير فيه على يوحنا المعمدان) .

٢ : ٢٦ « وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب » .

٣ : ١٦ « أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتى من هو أقوى من الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

٤ : ١ « أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية » .

٤ : ٢٤ « ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل ، وخرج خبر عنه فى جميع الكورة المحيطة » .

٤ : ١٦ — ٢١ « وجاء الى الناصرة حيث كان قد تربى ، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ ، فدفع اليه سفر اشعياء النبي ، ولما فتح وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه ، روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المتكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة ، ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس ، وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة اليه ، فابتدأ يقول لهم انه قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » .

١١ : ١٣ « فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه » .

٢٤ : ٤٩ « وها أنا أرسل إليكم موعد أبى فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى » .

وكان آخر حديث للمسيح مع تلاميذه قبل صعوده هو تأكيده وعد الله بأن ينزل عليهم الروح القدس عقب صعود المسيح :

أعمال الرسل ١ : ٢ — ٥ « إلى اليوم الذى ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم الذين أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما . ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله ، وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لايبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى ، لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير » .

ولوقا ٢٤ : ٤٩ « وها أنا أرسل اليكم موعد أبى ، فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى » .

وقد تحقق الوعد كما يحدثنا سفر أعمال الرسل ٢ : ١ — ٤ .

« ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين .

وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » .

ويشير بطرس فى أعمال الرسل إلى هبة روح الله فى التحدث باللغات المختلفة. يقول فى أعمال الرسل ٢ : ١٦ — ٢١ « بل هذا ما قيل بيوئيل النبى ، يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى اسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً ، وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون . وأعطى عجائب فى السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دما ونارا وبخار دخان ، تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم الشهير ، ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » .

والنص الذى يشير إليه سفر أعمال الرسل فى يوئيل ٢ : ٢٨ — ٢٢ هو : :

« ويكون بعد ذلك إنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى ، وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام وأعطى عجائب فى السماء والأرض دما ونارا وأعمدة بخار ، تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف ، ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو لأنه فى جبل صهيون وفى أورشليم تكون نجاة كما قال الرب ، وبين الباقين من يدعوه الرب » .

إن روح الله هى المحرك للوحدة الممنوحة من الله إلى الجماعة الجديدة النابعة.

من حياة المسيح وموته وقيامته من الأموات ، وإن مقتضيات العضوية فى هذه الجماعة وشروطها هى التوبة والاعتراف بيسوع مسيحا .

يقول فى أعمال الرسل ٢ : ٣٦ — ٣٨ .

« فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا ، فلما سمعوا نخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة فقال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » .

ويصبح الإنسان عضوا فى هذه الجماعة بعد أن يعتمد ويقبل عطية الروح القدس ويقول سفر أعمال الرسل ٢ : ٣٨ « فقال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » .

وفى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨ : ١٣ — ١٦ .

« لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون ، لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ، إذا لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب ، الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » :

ورسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ : ٦ .

« ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب » .

ويقول بطرس عن الوعد إنه لجميع الناس ، أعمال الرسل ٢ : ٣٩ « لان الموعد

هو لكم ولأولادكم ، ولكل الذين على بعد ، كل من يدعوه الرب إلهنا » .

ويحدثنا سفر أعمال الرسل عن قصة بطرس مع كرنيليوس قائد المائة من الكتيبة الايطالية الرومانية وفيها بيان واضح عن أن موهبة الروح القدس لليهود والأمم على السواء .

(أنظر أعمال الرسل الاصحاح العاشر والاصحاح الحادى عشر إلى الآية ١٨) .

وكان بولس الرسول أول من أدرك وفسر صفة العهد الجديد ووضح فى رسائله المختلفة أن الغاية التى من أجلها أعطى الله الناموس قد تحققت بالمسيح ، ويقول فى رسالته إلى أهل رومية ١٠ : ٤ « لان غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » .

وفى رسالته إلى أهل كولوسى ١ : ١٢ — ١٤ .

« شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته ، الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا » .

والإيمان بالمسيح حل أعمال الناموس وأصبح شرط السلام مع الله ، يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية ٣ : ٢٠ — ٣١ .

« لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لايتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطيئة . وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس شهوداً له من الناموس والأنبياء ، بر الله بالايمان بيسوع المسيح ، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه

لافرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدالله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله ، لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الايمان بيسوع ، فاين الافتخار ، قد انتفى بأى ناموس ، أبناموس الأعمال كلا ، بل بناموس الإيمان ، إذن نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس ، أم الله لليهود فقط ؛ أليس للأمم أيضا ، بل للأمم أيضا ، لأن الله واحد هو الذى سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان .

أفنبطل الناموس بالإيمان . حاشا ، بل يثبت الناموس » .

وفى رسالة بولس إلى أهل رومية ٥ : ١ « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح »

ولم يبق أى سبب أو داع للتمييز بين يهودى ويونانى .

يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية ١٠ : ١٢ « لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى ، لأن ربا واحدا للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به » .

ويقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية ٣ : ٢٦ — ٢٩

« لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان وبالمسيح يسوع لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع ، فإن كنتم للمسيح فانتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة »

وإسرائيل الله الحقيقية هى الجماعة التى دخلت فى العهد الجديد .

جاء فى الرسالة إلى أهل غلاطية ٦ : ١٦ .

« فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله » .

وإن قصد الله ، وسر إرادته قبل خلق العالم كما جاء فى رسالة بولس إلى أهل أفسس ١ : ١٠ .

« لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض من ذلك » .

وأن الأمم شركاء فى الميراث ، يقول بولس فى الرسالة إلى أهل أفسس ٣ : ٦ «أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل» .

وفى العهد الجديد يتحد المؤمنون بالعماد بالمسيح .

جاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية ٦ : ١ ـ ١١ .

« فماذا نقول أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ، حاشا نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ، أم تجهلون أن كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ، فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات ، لا يموت أيضاً ، لا يسود عليه الموت بعد ، لأن الموت الذى ماته ، قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التى يحياها فيحياها لله ، كذلك أنتم أيضاً احسبوا انفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا »

إن عمل روح الله فى هذا الاتحاد هو أن يجعل فى المؤمن فكر المسيح وخلقه يقول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٢ : ١١ — ١٦

« لأن من الناس يعرف أمور الانسان إلا روح الإنسان الذى فيه ، هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله ، التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات ، ولكن الانسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحيا ، وأما الروحى فيحكم فى كل شىء وهو لا يحكم فيه من أحد لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه وأما نحن فلنا فكر المسيح » .

وفى الاصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، يبين بولس هبة الروح العظمى ، وهى المحبة .

الاصحاح الثالث عشر .

« إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاسا يطن أو صنجا يرن ، وإن كانت لى نبوءة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ، وليس لى محبة فلست شيئا ، وإن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى أحترق ، ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئا .

المحبة تتأنى وترفق ،

المحبة لا تحسد ،

المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شىء وتصدق كل شىء وترجو كل شىء وتصبر على كل شىء ،

المحبة لا تسقط أبداً ، وأما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهى والعلم فسيبطل .
لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل
ماهو بعض . لما كنت طفلا كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل
كنت أفتكر ، ولكن لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل ، فإننا ننظر الآن فى مرآة
فى لغز ، ولكن حينئذ وجها وجه ، الآن أعرف بعض المعرفة ، لكن حينئذ
سأعرف كما عرفت ، أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن
أعظمهن المحبة » .

ويقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية عن المحبة ٥ : ١٣ — ٢٦ .

« فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة ، غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد
بل بالمحبة أخدموا بعضكم بعضا ، لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل ، تحب
قريبك كنفسك ، فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضا فانظروا لئلا تفنوا
بعضكم بعضا .

وإنما أقول أسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن الجسد يشتهى
ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون
ما تريدون ، ولكن إذا أنقدتم بالروح فلستم تحت الناموس وأعمال الجسد
ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة ، عبادة الأوثان سحر عداوة خصام
غيرة سخط تحزب شقاق بدعة ، حسد قتل سكر بطر ، وأمثال هذه التى أسبق
فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون
ملكوت الله .

وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة ، لطف صلاح إيمان ، وداعة
تعفف ، ضد أمثال هذه ليس ناموس ، ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد
مع الأهواء والشهوات ، إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضا بحسب الروح .
لا نكن معجبين نغاضب بعضنا بعضا ونحسد بعضنا بعضا » .

خاتمـة :

وعد الله فى العهد القديم أبناء إسرائيل ، نصرا حربيا على أعدائهم حتى يدخلوا الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ، وذلك بشرط أن تطيع إسرائيل الله وتخضع لوصاياه .

وقد أخلت إسرائيل بالعهد ، وبذلك فقدت وعود الله لها . وسقط حقها فيه ، ووعد الله بعهد جديد لا يكتب على ألواح من الحجر ، بل ينقش فى صدور الناس .

يقول إرميا ٣١ : ٣١ — ٣٣ « ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب ، بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل ، بعد تلك الأيام يقول الرب ، أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لى شعباً » .

ويقول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ٣ : ٢ ، ٣ « أنتم رسالتنا مكتوبة معروفة ومقروءة من جميع الناس ، ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا ، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى ، لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحية » .

والمسيح هو الوسيط لهذا العهد الجديد ، يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين ٨ : ٦ — ١٣ .

« ولـكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم ، قد تثبت على مواعيد أفضل ، فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان ، لأنه يقول لهم لائماً ، هو ذا أيام تأتى ، يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ، لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا فى عهدى وأنا أهملتهم يقول الرب ، لأن هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام . يقول الرب .

أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلها وهم يكونون لى شعباً ، ولا يعلمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلا : إعرف الرب لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم لأنى أكون صفوحا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فى ما بعد، فاذا قال جديداً عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » .

ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ١٥ .

« ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لـكى يكون المدعوون إذا صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول ينالون عهد الميراث الأبدى » .

وبعد أن كان الانتصار عن الأعداء من الجنس البشرى جعل المسيح النصر على الخطيئة والموت .

يقول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ : ٥٥ ـ ٥٧

« أين شوكتك ياموت ، أين غلبتك ياهاوية ؛ أما شوكة الموت فهى الخطية وقوة الخطية هى الناموس ولـكن شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح »
وبعد أن كان الوعد بأرض كنعان ؛ أصبح الوعد بملـكوت الله .

يقول لوقا ١٢ : ٢٢ « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » .

وجاء فى الرسالة إلى العبرانيين ٤ :٣ « لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة »

و ٤ : ٨ « لأنه لو كان يسوع قد أراحهم ، لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر ، إذا بقيت راحة لشعب الله » .

و ٤ : ١١ « فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان هذه عينها» .

وبعد أن كان الوعد باللبن والعسل ، منحنا الله عوضاً عنه ثمرة الروح ، وهى الحب والسرور والسلام والتسامح وإن وعود الله كلها تتحقق فى المسيح .

يقول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١ : ٢٠ .

« لأنه مهما كانت مواعيــد الله فهو فيه النعم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا » .

فهرس

مطبعة المعرفة

